جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي
الموسومة بـ:

الخطاب الجهادي في الأندلس عصر ملوك الطوائف والموحدين (422ه-668ه)

إعداد الطالبين:
* رقـــاد محمـد
* بساعد كـريم

بـوخـاري عـ

لجنة المنـــاقشة:

الاسم واللقب	الصفة
د.حاكمـــي الحبـيـب	رئـــيســـا
د. بـــوخاري عمر	مشرفا ومقررا
د.ة طيب بوجمعة نعيمة	مناقشـــــا

السنة الجامعية
1438 – 1439هـ / 2017 – 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلى الوالدين الكريمين اللذين بفضلهما ازدهرت سني وقويت شوكتي واشتد عودي أطال الله في عمرهما وأبلغني رضاهما.

إلى التي ينساب الوفاء من راحتيها حيث غمرتني بالاهتمام وكريم الرعاية حتى أتممت ما بدأت " زوجتي"

وإلى ابنتي العزيزة ونور عيوني أطال الله في عمرها وأسكنها جنان الصديقين "لجين أمينة "

إلى كل أفراد عائلتي الذين خصوني بالكثير من الدعم والتشجيع

إليكم جميعا أهدي ثمرة عملي المتواضع راجيا من الله العلي العظيم أن ينفعنا به...

الطالب: رقاد محمد

الإهـداء

إلى الوالدين الكريمين – حفظهما الله–

إلى رفيقة دربي زوجتي الوفية والصبورة.

إلى أفلاذ كبدي أولادي محمد أمين و آية ومراد.

إلى كل الأهل والأقارب والأصدقاء والزملاء.

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

الطالب: بساعد كريم

شكـر وعـرفان

قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ** ﴾ سورة الأحقاف 15

تقديرا منا للعلم واعترافا بالجميل وتخليدا للذكرى وعملا بقوله– صلى الله عليه وسلم:"**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**".

فالحمد لله والشكر له، بأن أنعم علينا بنعمة العلم، ويسر لنا أسباب لإتمام هذا العمل، وكذا بما رزقنا به من العزم والقدرة في انجاز هذه الدراسة.

وأخص بالشكر الأستاذ المشرف، الدكتور " **بوخاري عمر** " الذي تفضل بالإشراف على مذكرتنا، فكان خير معين لنا في انجازها، بصبره ورحابة صدره وجهده المبذول في قراءته وتصويبه وبالتنبيه إلى مواطن التقصير، لاستدراكها والوقوف عليها وتصحيحها.

إلى كل أساتذة قسم علوم إنسانية جامعة ابن خلدون تيارت وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل د. بلقاسم بن عودة.

إلى كل من ساعدنا في عملنا، إلى هؤلاء جميعا جزيل الشكر والعرفان.

قـــائمة الرمـوز والمختصـــرات

نشير إلى الرموز والمختصرات في الهوامش حسب النمط التالي:

ت	توفي
تح	تـحقيق
ج	جـــزء
د.ت	دون تـاريخ
د.ط	دون طبعة
ص	صـــفحة
ق	قـــسم
ع	عـــدد
م	ميلادي
هـ	هـجري
مج	مـــجلد
تر	تـــرجمة
تع	تعليق
غ.م	غير مفهرس

مقدمة

أخذ البحث في التاريخ الإسلامي ومجالاته عدة مقاربات ، فاعتمد في البداية على نقل الأحداث والوقائع دون تفسيرها، حيث استعملت الكتب التاريخية كمصادر لدراسة الماضي، ثم انتقلت لتتبع نشأة وتطور الفكر التاريخي فيما يعرف بالكتابة التاريخية، ومن أهم موضوعاته معالجة الإنتاج التاريخي العربي الإسلامي.

فالخطاب الجهادي ظهر مع بداية الدعوة الإسلامية ولازم تاريخها، خاصة في صراعها مع القوى المعادية لها، والأندلس تعد من أهم مناطق الصراع بين المسلمين والنصارى، وكان لعلمائها دورا كبيرا في مواجهة هذا الصراع، وذلك من خلال ما قدموه من جهد في نشر الإسلام، وترسخه في قلوب أهل الجزيرة، وبخطبهم للتحريض على الجهاد صمدت دولة الإسلام .

في هذا الإطار تأتي دراستنا بعنوان: الخطاب الجهادي في عصري ملوك الطوائف والموحدين ما بين القرن الخامس والسابع الهجري، بغية الكشف عن واقعية الخطاب الأدبي في مواجهة الخطر المحدق بالأندلس، وذلك من خلال رصد أهم النصوص التاريخية والنظم الشعرية التي بذل فيها علماء الأندلس جهودهم وأموالهم وحتى أرواحهم، لإعلاء كلمة الله، وتحريض المسلمين داخل الأندلس وخارجها للدفاع عنها.

ومن هذا المنطلق جاءت إشكالية الموضوع على النحو التالي: فيما يكمن دور الخطاب الجهادي في تحريض المسلمين على الجهاد بالأندلس في عصري ملوك الطوائف والموحدين؟.

وتفرعت عن هذه الإشكالية تساؤلات للإجابة عنها:

1- ما هي دوافع الخطاب الجهادي عند علماء الأندلس؟.

2- وما الأساليب التي تضمنتها الخطب التحريضية للجهاد؟ وانعكاساتها على نفسية وهمة المسلمين في تجنب التقاعس والتخاذل عن الجهاد؟. .

3- وكيف استطاع علماء الأندلس إقناع الحكام والعامة وتحريضهم على جهاد النصارى والدفاع عن حرمة أرض المسلمين؟.

4- وما موقف مسلمي الأندلس من سقوط المدن الأندلسية في يد النصارى؟.

أهمية البحث وأسباب اختياره موضعا للدراسة:

هناك أسباب ودوافع عديدة دفعتنا لاختيار هذه الدراسة ونذكر منها:

- ندرة الدراسات العلمية الأكاديمية التي تغطي هذا الموضوع بالرغم من أهميته التاريخية والحضارية.
- معرفة أهمية وواقعية أدب الحض على الجهاد في تاريخ الأندلس، وإعطائه حقه في إحياء الأمة الإسلامية، ورفع كلمة الجهاد في سبيل الله. ودراسته قد تحيي صفحة من صفحات التاريخ الأندلسي المطوية التي تحتاج لدراسة وافية.
- الرغبة في دراسة الدور الذي لعبه علماء الأندلس في مجال توحيدها تحت قيادة سياسة واحدة، باستعمال أقلامهم النثرية والشعرية في الخطاب الجهادي.
- معرفة موقف حكام الأندلس من تلك الخطب الجهادية في عصر ملوك الطوائف والموحدين.
- أخذ الدروس والعبر من تلك الرسائل الخطابية التي دعت لجهاد النصارى، وإسقاطها على حال الأمة الإسلامية في زماننا، بالبحث عن إعلام أدبيٍّ يدافع عن حرية المسلمين وحماية مقدساتهم، وإعلاء كلمة الله في أرضه.
- الأندلس أرض رباط وجهاد، ولابد من معرفة العوامل التي دفعت بمسلمي الأندلس للجهاد في سبيل نيل شرف الشهادة.
- محاولة إدراج المصطلح المركب الحديث والمتمثل في الخطاب الجهادي، وإسقاطه بالتوازي مع مصطلح التحريض على الجهاد في عصر الطوائف والموحدين بالأندلس.
- محاولة ضبط حدود البحث كالتالي:

*حدود الموضوع: البحث يعالج دراسة الخطاب الجهادي في الأندلس عصر ملوك الطوائف والموحدين.

*الحدود الزمنية: الإطار الزماني للمسلمين في حكم الأندلس في عصري ملوك الطوائف والموحدين (422- 668هـ).

*الحدود المكانية: جزيرة إيبريا (إسبانيا والبرتغال حاليا، وجزر التابعة لها) ، وعدوة المغرب

منهج البحث:

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا منهج البحث التاريخي التحليلي الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها، وتفسيرها للوصول إلى دور الخطاب الجهادي في الأندلس، ونتائجه في الفترة المدروسة.

واعتمدنا على المنهج الاستقرائي الوصفي بتناول النصوص على أسس موضوعية، لاستنباط مضامينها.

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، فالمقدمة تضمنت لمحة موجزة عن الموضوع وأسباب اختياره من كل الجوانب المحددة له.

أما الفصل الأول: فقد عالج مضمون الخطاب الجهادي كمصطلح مركب، وربطه بتاريخ التحريض على الجهاد بالأندلس منذ الفتح الإسلامي لها لغاية بداية عصر ملوك الطوائف، بذكر أهم الخطب الجهادية التي كانت في هذه الفترة الزمنية.

أما الفصل الثاني: فقد خصص لدراسة الخطب الجهادية في عصر ملوك الطوائف، بتشخيص دوافع الخطاب في هذا العصر، وإعطاء نماذج من علماء الأندلس في حضهم للحكام والعامة على جهاد النصارى، باستعمال أساليب تنوعت بين النثر والشعر.

أما الفصل الثالث الذي جاء بعنوان الخطاب الجهادي في عصر الموحدين، والذي قسمت مباحثه إلى تشخيص دوافع جواز الموحدين للأندلس، ودور العلماء في حض حكامهم على جهاد النصارى، ودراسة سقوط مدينة بلنسية كأنموذجا في الخطاب الجهادي، الذي حفز مسلمي الأندلس والموحدين لإنقاض المدن والثغور الأندلسية من السقوط في يد أعداء الدين.

وفي خاتمة بحثنا عرضنا بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة الخطاب الجهادي في عصر ملوك الطوائف والموحدين.

الدراسات السابقة لهذا الموضوع:

إن هذه الدراسة لم تطرح من قبل بشكل علمي وأكاديمي، ولا توجد فيها دراسات متخصصة، بحكم أن المصطلح المركب المتمثل في الخطاب الجهادي هو مصطلح حديث، ووجدت دراسات فرعية ومعظمها أدبية عالجت هذا الموضوع من جوانب أدبية أو دينية، ومن تلك الدراسات نذكر منها: دراسة علمية لنيل شهادة الماجستر بعنوان: العلماء الشهداء في الأندلس (400-897هـ=1009-1492م)، للطالب عبد القادر علي أحمد الدرة، التي عالج فيها دور العلماء في تحريض الحكام والعامة بالأندلس لمواجهة الخطر الصليبي، والدفاع عن وحدة الأمة ومقوماتها.

وهناك دراسة للدكتور صلاح جرار، دور الأدب في مواجهة التردي السياسي في عصر الطوائف ومتخذا الهوزاني نموذجا في شعر الأندلس للتحريض على الجهاد.

***أهم المصادر والمراجع:**

وقد تنوعت مصادر البحث، بين كتب التاريخ العام والخاصة، ونذكر منها:
***كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،** لابن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م)، وهو موسوعة تاريخية أدبية تتضمن تراث القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، يقسم الكتاب إلى أربعة أقسام في ثمانية مجلدات، حيث كان هذا الكتاب من أهم المصادر التي أفدتنا في ذكر أهم الخطب التحريضية للجهاد في عصر الطوائف، وأهم العلماء الذين برزوا في هذا الشأن.

* **كتاب قلائد العقيان ومحاسن الأعيان،** لابن خاقان، الذي ساعدنا في تشخيص أساليب الخطاب الجهادي في عصر ملوك الطوائف والمرابطين، بتنوعها بين النثر والشعر.
* **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،** لابن الخطيب لسان الدين

(ت.776هـ/1376م)، هو عبارة عن موسوعــة في التاريخ الإسلامي، ويـنقسم إلى ثلاثة أقسام، وقد أفادنا القسم الثاني الـذي تضمن تاريخ الأنـــدلس مـن الفـتح ألى عصر المؤلف، أي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي، وقد حققه ليفي بروفنسال، ويحتوي هذا القسم على معلومات خاصة بقيام عصر ملوك الطوائف، ووصف الفتنة البربرية بالأندلس.

كما إستعملنا مصادر أخرى متنوعة في الأنساب والفقه، والجغرافيا، والأدب...الخ، كان لها فضل في بناء وخدمة هذه الدراسة.

أما المراجع: فثمة مجموعة من المراجع أفادتنا في معرفة أساليب ومنهاج مؤلفيها، وطرق معالجتهم لهذا الموضوع ومن هذه الكتب نذكر:

كتاب دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي لمحمد عبد الله عنان، ويتناول في دراسته دولة الإسلام في الأندلس، وقد خصص العصر الثاني لدول الطوائف، بتاريخ النشأة والتحديدات لكل مملكة وتطورها السياسي ،إضافة إلى كتاب الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم (عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا)، لمؤلفه حمد بن صالح السيحاني، والذي أفادنا في تشخيص القوة المعنوية التي دعا إليها الإسلام، للتغلب على ضعف والانقسام بين المسلمين، و للوقوف في وجه النصارى، بذكر أهم الخطب الجهادية التي حرضت ملوك الطوائف والمرابطين بالجهاد في الأندلس.

ويعتبر أيضا كتاب شعر الجهاد في عصر الموحدين، لمؤلفه شفيق محمد عبد الرحمن الرقب، من المراجع التي ساعدتنا في معرفة دور الشعراء في تعبئة الأمة للوقوف في وجه العدوان، وذكر موقف حكام الموحدين من تلك الخطب الجهادية التي وجهت إليهم لتحريضهم على الجهاد في الأندلس.

***الصعوبات والعراقيل التي واجهت هذه الدراسة:**

وكما هو معهود بالنسبة لكل دراسة تاريخية، هناك مجموعة من الصعوبات والعراقيل والتي واجهتنا في إعداد هذه الدراسة، ولعل من بينها:

- قلة المادة التاريخية المتخصصة في هذه الدراسة، وانحصار معظمها في الدراسات الأدبية.
- مشكلة تنوع مصادر البحث في هذا الموضوع، نظرا لتناثر المادة العلمية في عدة مصادر مثل المصادر الأدبية وكتب الفقه وغيرها.
- صعوبة فهم بعض المصطلحات والتسميات، مما دفعنا للجوء إلى القواميس والمعاجم، والشروح الديوانية لبعض الأشعار.
- ومن الصعوبات أيضا ضيق الوقت لأن البحث الجاد في الدراسات العلمية الأكاديمية، كموضوع الخطاب الجهادي في الأندلس عصر ملوك الطوائف والموحدين يحتاج إلى وقت أطول مما هو مخصص له.

وفي الأخير يسّر الله تعالى لنا إخراج هذا العمل بهذه الصورة مع الأمل في إخراج بحوث أخرى تكون أحسن من حيث توظيف المكتسبات والأفكار، باعتبار هذا البحث محطة من محطات التكوين.

الفصل الأول: الخطاب الجهادي في تاريخ الأندلس قبل عصر ملوك الطوائف

تمهيد:

المبحث الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب الجهادي.

- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب.
- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للجهاد.
- المفهوم المركب للخطاب الجهادي لغويا واصطلاحا.

.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الأندلس (من عصر الولاة إلى سقوط الخلافة الأموية):

- عصر الولاة (95هـ- 138هـ).
- عهد الإمارة (138هـ ـ 316 هـ).
- عهد الخلافة الأموية بالأندلس (316هـ -422هـ).

المبحث الثالث: واقع الخطاب في الأندلس من الفتح لسقوط الخلافة:

- الخطاب الجهادي في مرحلة الفتح الإسلامي للأندلس.
- الخطاب الجهادي في عصر ولاة الأندلس.
- الخطاب الجهادي في عهد الإمارة و الخلافة الأموية بالأندلس.
- الخطابة الجهادية في عهد الدولة العامرية.

تمهيد:

إن الباحث في دراسة تاريخ و حضارة الأندلس يلاحظ ما ألم بالمجتمع الأندلسي من أخطار وما صادفها من معوقات، كان هو أكبر دافع للحديث عن الجهاد في تلك الفترة، و العامل الرئيس في استنفار قريحة الأدباء والخطباء لحض الناس على الجهاد دفاعا عن عقيدتهم وأموالهم وأعراضهم والتمسك بأرضهم، وهذا ما حتم عليهم إعلان الجهاد ومواجهة العدو.

من هذا المنطلق يأتي دور الخطاب الجهادي، بوصفه أكثر الرسائل انتشارا في تلك الفترة، نظرا لتأثيره في نفوس المسلمين هذا من جهة، ويهدف إلى توحيد الصفوف داخليا ومواجهة العدو المتربص بالجزيرة والمتمثل في المماليك النصرانية من جهة ثانية.

و من العوامل التي دفعت بالعلماء والخطباء والفقهاء وغيرهم إلى الدعوة للجهاد عن طريق الخطاب، لاستشعار الخطر وتهديد الوجود الإسلامي في الأندلس، خاصة في فترات الضعف وذلك بإثارة الروح الدينية لتحفيز المسلمين على استرجاع الأراضي المغتصبة منهم. والحفاظ على ما تبقى منها، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق الجهاد. والخطابة الواعية والفصاحة البالغة لم تخمد جذوتها، عبر تاريخ الأندلس[1].

وتاريخ الخطاب الجهادي في الأندلس بدأ منذ فتحها إلى غاية سقوطها، والذي ساعد على تطوره، مجموعة من العوامل منها: السياسية، المتمثلة في كثرة النزاعات بين المسلمين حول السلطة، وصراعهم مع النصارى، بالإضافة إلى وجود خطباء يتميزون بطلاقة اللسان وقوة البيان...الخ، وقد شكل الخطباء النواة الأولى في هذا الصراع.[2]

(1) إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1437هـ/2016م، ط5، ص 71.

(2) عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الاستقامة، 1940/05/19م، ص38.

المبحث الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب الجهادي

1-المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب

أ)- المفهوم اللغوي للخطاب:

تفيد المادة اللغوية للفظ المتكون من (الخاء والطاء و الباء) "...خَطَبَ" الكلام بين اثنين ويقال:"خَطَبَهُ، يُخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا[1]، والخُطْبَةُ مصدر الخَطِيب، وخطب الخاطب على المنبر، والخَطْبٌ هو الأمر أو الشأن وجمعه خُطُوبٌ"[2].

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[3].

"...والخِطَابَةٌ هي قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ..."[4]

"...وشروط الخِطَابِ أن يكون المُتَكَلَمُ به نافعا للمستمع نفعا دنيويا أو أخرويا، فكل كلام لا يحمل نفعا للمستمع لا يعدُّ خطابًا بل يعد لغوا، واللغو كل كلام ساقط العبرة منه، وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم..."[5].

ومما سبق يتبين لنا: أن الخِطَابَ هو الكلام الذي يحمل في طياته الحجج و البراهين و التأثير على المخاطبين بغرض الإفهام و الالتزام به.

---

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح وضبط عبد السلام محمد هارون، غ.م، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ط1، مج1 ص486،487، (مادة خطب)

(2) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب ، دار صادر بيروت، 1997م، ط1، مج2، (مادة خطب)،ص 5، وينظر أيضا : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آيادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1407هـ، ط3، ،ص103، وأيضا: للراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ، تح صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، 1412هـ/1992م، ط1، ص286.

(3) الآية 31 من سورة الذّاريات

(4) الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، تح إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ ، ط1، ج1، ص134.

(5)المصدر نفسه: ص134.

ب)-المفهوم الاصطلاحي للخطاب:

وردت عدة تعاريف تختص بالمفهوم الاصطلاحي لمفهوم الخطاب، نذكر منها:

- عرفه" **سيف الدين الآمدي**" بأنه: «اللفظ المتواضع عليه، والمقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»[1].

- عرفه"**علي عبد الحليم محمود**": «الخطاب بأنه لون من ألوان القول، يحشد به الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير على سامعيه، وجذبهم بما يسوق من الحجج والبراهين المقنعة»[2].

- ويعرفه"**سعيد إسماعيل علي**" بقوله: « الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة وهو الكلام المنطوق أو المكتوب، الذي يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان»[3].

أما عن حضور المصطلح في القرآن الكريم فجاء بصيغة المصدر والفعل في الآيات التالية: لقوله تعالى:﴿ **وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** ﴾[4]

وقوله أيضا:﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[5].

وقوله:﴿ **رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**﴾[6]

(1) سيف الدين الآمدي، الأحكام في فصول الأحكام، مكتبة عاطف،القاهرة،1978م، ط1، ج1، ص136.

(2) علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله ، دار الوفاء للنشر والتوزيع، د.ت، د.ط، ج1، ص169.

(3) سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي، سلسلة كتب الأمة(100)، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، د.ت ، ط1، ص9.

(4) سورة المؤمنون، الآية 27.

(5) سورة الفرقان، الآية 63.
(6) سورة النبأ الآية37.

والخطاب إنجاز في المكان يقتضي لقيامه شروطا أهمها المُخَاطِب والخِطَابُ والمُخَاطَبُ.

ولفظ الخطاب من حيث معناه اللغوي يدل على كل ملفوظ أكبر من الجملة منظور إليه من حيث قواعد التسلسل الجملي، ومن جهة نظر علم اللسانيات، فان الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ، فالهدف الأساسي من استعمال الكلام هو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو إلى مجموعة من الأشخاص[1].

ولذلك فإن استعمال الكلام يستوجب وجود عنصرين لا يكون الحديث إلا بهما، وهما المتكلم الذي يؤلف المُرسَلةُ تبعا لأهوائه ورغباته والمُخَاطَبُ الذي يقوم بفك رموز هذه المرسلة لفهمها.[2]

« فالخطاب سلسلة من الملفوظات التي يمكن تحليلها باعتبارها وحدات أعلى من الجملة، تكون خاضعة لنظام يضبط العلاقات بين الجمل، أي العلاقات السياقية والنصية، وذلك عن طريق تحديد النظام المعجمي، الدلالي أو التركيبي، والدلالي للنص أو سلسلة العلاقات المنطقية الاستعادية التي تتجلى في الشفرة التي تربط ببرهان لغوي يقوم بين عدة أطراف ضمن ظروف محددة.[3]»

ومعنى هذا أن للخطاب شروطا تعمل على تقييده لكي لا يخرج عن مجاله، فقد وجد شرط استخدام الحجج والبراهين وشرط النفع، وشرط التوجه بالكلام إلى الغير، وشرط إفهام الناس.

وبهذا يتبين أن الخطاب هو كلام نافع، يعتمد على الحجج والبراهين، قصد به المُخَاطَب فعليا، بغرض إفهامه أمرا معيناً والتأثير فيه تأثيرا يحمله على الالتزام.

(1) بوقرة النعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، عمان، 2012م، ص12.
(2)المرجع نفسه، ص12.
(3) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع الجزائر، 2009م، ص192.

2- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للجهاد:

أ)- المفهوم اللغوي للجهاد:

الجهاد: مصدر رباعي من جاهد يجاهد جهادا، ومادته:(جَهَدَ)، الجيم والهاء والدال هي أصل هذا المصدر، وله عدة معان منها:

***المشقة:** وهي الأصل في هذه المادة.

قال ابن فارس (ت395هـ)[1]:"الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه، يقال: جهدت نفسي وأجهدت، والجهد: هو الطاقة[2]، **قال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[3].

***استفراغ الوسع والطاقة، قال الراغب (ت502هـ)**[4]: "الجهاد هو استفراغ الوسع والجهد"[5].

---

(1) **ابن فارس:** أبو حسن، أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب، القزويني، المعروف بالرازي ،الإمام، العلامة، اللغوي، المحدث ، ولد بقزوين كان رأسا في الأدب بصيرا بفقه مالك مناظرا ومتكلما توفي بالري، أنظر: الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان توفي 748هـ=1374م)، سير أعلام النبلاء ، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ /1996م ، ط11، ج17. ص103. و ينظر : محي الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آيادي، البلغة في تراجم أئمة النحو و اللغة ، تصنيف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آيادي ، تح محمد المصري ، ط منقحة و موسعة حسان أحمد راتب المصري ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع ، 1421هـ/2000م ، ط1 ، ص 80.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المصدر السابق، ص486.

(3) سورة التوبة الآية 79.

(4) **الراغب:** أبو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب الأصفهاني، أديب، لغوي، مفسر، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، له التفسير الكبير، ومفردات القرآن وغيرها، أنظر: محي الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آيادي ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، المصدر السابق، ص19، وأيضا: الزركلي(خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي الإعلام ، دار العلم للملايين ، 2002، ط15 ، ص 122.

(5) الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب)، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة

نزار مصطفى الباز، دار النشر مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط، د.ت، ص132، ينظر:الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام محمد هارون، سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء في الكويت، 1415هـ/ 1994م ، ط2، مج7، 537.

وقال ابن الأثير(**ت 606هـ**):"الجهاد: محاربة الكفار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل، يقال: جهد الرجل في الشئ: أي جد فيه وبالغ، وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادا". [1]

ب)- مفهوم الجهاد اصطلاحا:

لا يخرج الجهاد في معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي السابق وهو بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة في سبيل الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ): " الجهاد في سبيل الله تعالى من الجهد ، وهي المغالبة في سبيل الله بكمال القدرة والطاقة فيتضمن شيئين أحدهما استفراغ الوسع والطاقة، والثاني أن يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله ، ودفع مكرهاته والقدرة والإرادة بهما يتم الأمر.[2]

قال الكاساني[3] (ت 587هـ) : " الجهاد في عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان"[4].

---

(1) ابن الأثير(محي الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد، مج1، ص319(مادة جهد)، ينظر: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، غ.م، الناشر مكتبة لبنان، 1987م، ص43.

(2) ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم)، جامع الرسائل، تح: محمود رشاد سالم، دار المدني جدة، مج2، ص281.

(3) أبو بكر بن سعود بن أحمد الكاساني سمي بملك العلماء، له مصنف بدائع الصنائع، تولى التدريس،توفي في حلب، أنظر: عبد القادر محمد بنو نصر الله القرشي أبو محمد محي الدين الحنفي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، دار المعارف النظامية حيدر آباد، باكستان، 1332هـ، مج2، 244.

(4) الكاساني الحنفي (علاء الدين أبي بكر بن مسعود)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية بيروت، 1406هـ/1986م، ط2، ج7، ص97.

وما تقدم من تعريفات للفقهاء للجهاد يظهر بوضوح أن بعض العلماء نظر في تعريفه للجهاد بمعنى العام، والبعض الأخر نظر إلى معناه الخاص الذي هو قتال الكفار.

وقال ابن منظور (ت711 هـ) رحمه الله: (والاجتهاد و ا لتجاهد، بذل الوسع و المجهود... وجاهد العدو مجاهدة وجهادا قاتله ، وجاهد في سبيل الله وفي الحديث " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية " والجهاد لمحاربة الأعداء ، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع في الحرب، أو اللسان [1]

ومن خلال ما سبق من التعريفات يظهر بوضوح أن الجهاد هو اجتهاد و بذل أقصى الجهد و المبالغة في تقديم ما في الوسع و الطاقة من قول أو فعل، أي تسخير الجانب المعنوي ودعمه، وتثبيته على مجابهة أعداء الإسلام بالنفس والنفيس.

– المفهوم المركب للخطاب الجهادي:

أ)– المفهوم اللغوي للخطاب الجهادي:

هو مصطلح مركب من لفظيين وهما (الخطاب) و(الجهاد)، وهو بمعنى الكلام الذي يحمل الحجج والبراهين للتأثير في المتلقي حتى يبذل ما في وسعه من جهد وطاقة لبلوغ مرضاة الله تعالى. [2]

ب)– المفهوم الاصطلاحي للخطاب الجهادي:

إن مصطلح الخطاب الجهادي يعني التحريض على قتال الكفار بهدف إعلاء كلمة الله، وجاء هذا اللفظ في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾[3].

(1) ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج3، ص 133.

(2) تعريف مصطلح الخطاب والجهاد، مفصلا في الصفحات السابقة من 09 إلى 14.

(3) الآية 65 من سورة الأنفال.

وقد جاء في الظلال تفسيرا لهذه الآية: حَرِضْهُمْ وهُمْ لِعَدُوهِم وعَدُوَ اللَّهِ كفءٌ وإن قَلَّ عَددُهُم وكَثُرَ أَعْدَاؤُهمْ"[1]

أي حثهم يا محمد(صلى الله عليه وسلم) على مقاتلة أعدائهم من أجل رفع كلمة الله وإقامة العدل في الأرض. وأن الجهاد فريضة على المسلمين حتى ولو كان عدد أعدائهم أضعاف عددهم، وأنهم منصورون بعون الله وأن الواحد منهم كفء لعشرة من الأعداء، وكفء لاثنين في أضعف الحالات. وفريضة الجهاد لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعدوهم، لأن نصرهم بيد الله وما عليهم إلا الثبات في المعركة.[2]

هناك آيات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة تحث على الخطاب الجهادي لرفع الهمم وإبقاء الوجود الإسلامي على الأرض، ومجمل القول عن مصطلح الخطاب الجهادي يقتضي الأمور التالية:

*للخطاب الجهادي ثلاثة أطراف:

أ)-الطرف الأول متمثل في "**المُخاطِبُ**": وهو من يقوم بتبليغ الخطاب الجهادي، ومن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الخطيب:

1- أن يكون مخلصا لله تعالى، بعيدا عن الرِّياء وحب الظهور.

2- أن يكون ملما بفنون الخطابة، وما إلى ذلك من علوم أخرى.

ب)-الطرف الثاني متمثل في **المُخاطَبُ**: وهو الطرف الذي يوجه إليه الخطيب خطابه ويبلغه الرسالة ويقيم عليه الحجج والبراهين.

ج)-الطرف الثالث: مضمون **الخِطَابِ**: يجب أن يكون واضحا بيّنًا لا غموض فيه ولا لبس فيه، كما يكون فيه الحماسة والترغيب والترهيب...الخ، ليسهل على المستمعين الفهم والانجذاب نحو هذا الخطاب[3].

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ/2003م، ط32، مج1، ج10، ص1539.

(2) نفسه، ص 1539.

(3) إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، المرجع السابق، ص33.

والخطاب الجهادي يلقى على الجنود في زمن الجهاد، لتحريضهم على قتال عدوهم، وتحفيزهم على الثبات والإقدام، وحثهم على التضحية، وبذل كل ما لديهم من طاقة لتحقيق النصر، والظفر بالمطلوب.

وقد يلقيها القائد العام للجيش أو من ينوب عنه، وقد يلقيها كذلك قائد مجموعة من الجيش تقوم بمهمة عسكرية.

كما قد يلقيها أحد الدعاة ممن يناط بهم أمر توجيه الجنود معنويا، فينتقل إلى مواقع الجنود وثكناتهم العسكرية، ويخطب فيهم حاثا على الاستبسال في القتال، ومرغبا لهم في الإقدام لنيل إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة، ومرهبا إياهم من التخاذل أو الفرار من لقاء العدو، ومحذرا لهم من إيثار الدنيا على الآخرة.

ولا شك أن لهذا النوع من الخطب أهميته وخطورته، فله دوره البالغ في إنهاض الهمم، وبعث العزائم، وتثبيت القلوب والأقدام، وخاصة إذا كان الخطيب ماهرا في خطبته.

ومما لا يختلف عليه اثنان أن تقوية الجانب المعنوي لدى الجندي المقاتل، لا تقل أهمية عن تقوية الجانب المادي، والتاريخ الإسلامي حافل بما يؤكد هذه الحقيقة، فقد كان السواد الأعظم من معارك المسلمين تتراجح فيها كفة الجانب المادي للأعداء على كفة الجانب المادي لجنود الله.

و على الخطيب أن يستثير مشاعر الجند، ويخاطب فيهم الوجدان، ويلامس القلوب، فيذكرهم بما أعده الله للمجاهدين المخلصين من الأجر والمثوبة، وبما أكرم الله به الشهداء من الدراجات العلا، والمنازل الكريمة، ويحذرهم من عقابه على المتخاذلين والفارين المدبرين[1].

(1) إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، المرجع السابق، ص272، 273.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الأندلس (من عصر الولاة إلى سقوط الخلافة الأموية):

1-عصر الولاة (95هـ-138هـ):

عرفت الفترة الأولى من الحكم الإسلامي في الأندلس بعصر الولاة، و حكمها وال عرف بالأمير أو الوالي [1] و أطلق هذا اللفظ على هذه الفترة التاريخية فأصبحت تعرف بفترة عصر الولاة [2]. تولى حاكم إفريقية تعيين ولاة الأندلس في أغلب الأحيان و تبعوا له [3]، و في أحيان أخرى الخلافة الأموية هي من تعين الولاة مباشرة [4].

و قد بلغ عدد ولاة الأندلس في هذه الفترة عشرين واليا حكموا الأندلس في مدة تقارب اثنين و أربعين عاما[5].

تجمع المصادر التاريخية على أن عصر الولاة في الأندلس بدأ سنة 95هـ /713م منذ ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير[6] و تميز هذا العصر بالخصائص التالية :

- عصر الولاة يمثل الأساس التاريخي لكل الدراسات و الأبحاث الأندلسية نظرا لما تركه من آثار ظلت فاعلة فيما أعقبها من أحداث.

---

(1) الحجي عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ/711-1492م، دار القلم، بيروت، 1402هـ=1981م، ط2، ص 131،132.

(2) مكي محمود :تاريخ الأندلس السياسي – الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1999، ط2 ، ج1، ص63.

(3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الإبياري ، غ. م، دار المصري القاهرة ، دار اللبناني بيروت، 1410هـ = 1989م ، ط2 ، ص ص39 -40.

(4) ابن عذارى المراكشي (أبو إسماعيل محمد بن محمد)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح: ج س كولان - ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت لبنان ، 1983 ، ط3 ،ج1 ، ص ص 182 ، 199.

(5) المقري(أحمد بن محمد التلمساني)، النفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر،1388هـ = 1968م، مج 1، ص249.

(6) ابن عذارى، البيان، المصدر السابق، ج2، ص22.وأيضا: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 276- 299

وأيضا: ابن الفرضي (عبد الله بن محمد أبو الوليد)، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ/2008م، ط1، مج1، ص 366.

ـ رغم قصر فترة الولاة نسبيا فقد شهد عدد من الإثورات في المجال الإداري و المالي إلى جانب الفتوحات و النشاطات العسكرية ، و كذا بناء القلاع و الحصون .

ـ انشغال المسلمين بخلافاتهم القبلية و العرقية أدى إلى إضعاف شوكتهم و أغرى بهم أعداءهم، والتي كانت مقدمة لاندثار الوجود الإسلامي .

ـ أوضاع الخلافة الأموية الداخلية و صراعها في آخر أيامها مع الدولة العباسية أدى إلى إهمال القطر الأندلسي لانشغالها بتلك الصراعات و الخلافات .

أسس عبد الرحمن بن *معاوية* (الداخل)[1]، دولة بني أمية في الأندلس سنة 138 هـ، و التي استمرت إلى غاية 422 هـ،و اتخذ من قرطبة عاصمة لدولته، و لقب نفسه بالأمير بدلا من الخليفة ، لحكمة منه فلم يحاول إرباك المسلمين بأكثر من خليفة واحتراما منه لوجود منصب خليفة المسلمين، ممثلة في الخلافة العباسية[2].

وعرفت دولة بني أمية بالأندلس مرحلتين رئيسيتين هما:

2-عهد الإمارة (138هـ ـ 316 هـ):

يبدأ هذا العهد بمجيء عبد الرحمن بن معاوية، وتوليه حكم الأندلس سنة 138هـ[3]، وينتهي هذا

(1) **عبد الرحمان الداخل:** أمير أموي، وهو أحد الفارين من بطش العباسيين في المشرق الإسلامي ، حيث قرر أن يذهب إلى الأندلس، ثم يؤسس دولة للأمويين، فراسل كل الأمويين ومحبي الدولة الأموية في كل مكان ليعرض عليهم فكرته، وقد واجهته صعوبات كبيرة في تأسيس دولته، فتم له الأمر وحكم الأندلس مابين 138هـ إلى 172هـ، كما عرف عهده ثورات عديدة حيث تزيد عن خمسة وعشرين ثورة تغلب عليها جميعها، قال عنه المؤرخون:" لولا عبد الرحمان الداخل لانتهى الإسلام من الأندلس بالكلية" ينظر: إلى ترجمته: لابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي)، جمهرة أنساب العرب، تح وتع ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر،1368هـ/1948م، ص ص 299 303، وينظر :المقري،النفح الطيب، المصدر السابق، مج3، ص31 . ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، المصدر السابق، ص- ص 26 . 32،وينظر أيضا: الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ت 488هـ) ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس ، 1429هـ/2008م، ط1، ص 28،29 .

(2) الهاشمي عبد المنعم، الخلافة الأندلسية، دار ابن حزم، بيروت، 1428هـ /2007م ، ط1، ص191.
(3) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مراجعة: عادل أبو المعطي . محمد دياب، دار الرشاد العربية للطباعة والنشر، مصر، 1421هـ/2000م ، ط5، ص ص 299، 303.

العهد في إمارة عبد الرحمن الناصر لدين الله، هذا الأخير الذي أعلن عن قيام الخلافة في الأندلس سنة 316هـ.[1]

تعاقب على حكم هذه الإمارة سبعة أمراء، وتميز عهد الإمارة[2] بالأندلس بما يلي:

- تأسيس دولة أموية بالأندلس مستقلة عن الخلافة العباسية.
- توحيد الأندلس تحت حكم الإمارة الأموية والقضاء على كل الفتن والنزاعات حول الحكم، حيث قضى الأمير عبد الرحمن الداخل على أكثر من خمسة وعشرين ثورة[3].
- استطاع عبد الرحمن الداخل أن يؤسس عهدا جديدا في الأندلس، وهو عهد الولاء للدولة، بدلا من الولاء للقبيلة والعصبية.
- الأمراء الذين جاؤوا بعد عبد الرحمن الداخل، ساروا على نهجه، وعرفت فترة الإمارة استقرارا نسبيا مع تأمين الثغور، ولكن في أخر عهد الإمارة كثرت الفتن، خاصة في عهد الأمير السابع عبد الله بن محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط (275هـ –300هـ)[4].

---

(1) لابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، ج3، ص 176.
(2) **عهد الإمارة** : تبدأ مرحلة الإمارة في الأندلس بـ عبد الرحمن الداخل المؤسس للدولة الأموية في الأندلس (138هـ/172هـ) ثم تولى الحكم من بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن (172هـ /180 هـ) ثم الحكم بن هشام (180 هـ /206 هـ) الملقب بالربضي ولقب بذلك لموقعة كانت على أهل الربض ، ثم تولى الحكم عبد الرحمن بن الحكم (206 هـ/238هـ) (عبد الرحمن الأوسط) في عهد هذا الأمير ينتهي القسم الأول من مرحلة الإمارة و الذي تميز بالقوة ، ثم يبدأ القسم الثاني من مرحلة الإمارة و التي تعاقب على الحكم كل من: محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط (238 هـ/273) ثم المنذر بن محمد الأول (273 هـ/275هـ) ثم عبد الله بن محمد الأول(275 هـ/300هـ) تميزت هذه الفترة الأخيرة من عهد الإمارة (238 هـ /300هـ) بكثرة الثورات و الضعف فأصبحت دولة بني أمية ممزقة الأشلاء ، تبعثرت بها المقاطعات المستقلة و التي صارت أشبه بالضياع منها بالولايات ، وصار ملك بني أمية يشمل قرطبة وحدها و يجاورها من أعمالها ينظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، إعداد فريق البحوث و الدراسات الإسلامية (فدا) تقديم راغب السرجاني ، مراجعة قاسم عبد الله إبراهيم ،محمد عبد الله صالح ، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع القاهرة ،مصر ، 2007م ، ط07، ج 1 ، ص ص 375 _ 384.
(3) خصص عبد المنعم الهاشمي في كتابه الخلافة الأندلسية مبحثا تحت عنوان عبد الرحمن في مواجهة الثورات و الفتن حيث ذكر أهم الثورات كثورة يوسف الفهري والصميل، الخوارج ، شقي بن عبد الواحد ... ينظر: عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأندلسية، المرجع السابق، ص 151 –163.

(4) تعد الفترة من 238 هـ إلى 300هـ فترة الفتن و الانقسام ، و انحصر ملك بني أمية في قرطبة و مناطق المجاورة لها. ينظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ج1، ص 384.

3- عهد الخلافة الأموية بالأندلس (316هـ -422هـ):

تولى إمارة الأندلس عبد الرحمن الثالث (الملقب بالناصر لدين الله)(300هـ -350هـ)، فكان رجل سياسة وحرب وقائد عسكري استطاع أن يقض على الفتن، ويعيد هيبة الدولة. وأهم ما قام به عبد الرحمن الثالث هو إطلاق لقب الخليفة على نفسه، بدلا من اسم الأمير، وكان ذلك سنة 316هـ، والتي استمرت إلى 422هـ، وتعرف بعصر الخلافة[1].

ومن بين العوامل والأسباب التي أدت إلى إعلان عبد الرحمن الثالث للخلافة :

- ضعف الخلافة العباسية.
- ظهور الدولة العبيدية الشيعية في بلاد المغرب والتي أصبحت تهدد حدود بلاد الأندلس.
- إيمانا منه أنه حق أجداده (الدولة الأموية بالمشرق)، واستعادته لتقوية ملكه بالأندلس.

استمر عهد الخلافة بعد الناصر لدين الله، فتولى الحكم المستنصر بالله الحكم الثاني بن عبد الرحمن الثالث، عرفت فترة حكمه بأزهى الفترات، حيث غابت عنها الثورات والفتن، وساد فيها الاستقرار السياسي[2].

ثم تولى الحكم بعده هشام الثاني الملقب بالمؤيد بالله (366هـ -403هـ)، كان حديث السن، فظهرت في عهده الوصاية أو الحجابة أو ماعرف تاريخيا بالدولة العامرية[3].

---

(1) **عصر الخلافة:** أصدر الخليفة(عبد الرجمن الثالث الناصر لدين الله) منشورا عاما يقول فيه: " و قد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين و خروج الكتب عنا، وردودها علينا كذلك ، إذ كان مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه، و متسم بما لا يستحقه منه، و وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا أضعناه، و اسم ثابت أسقطناه ...."، كذلك أمر الناصر لدين الله بإثبات عبارة (الناصر لدين الله أمير المؤمنين) في أعلامه و طرازه ودنانيره و دراهمه و نفذ الأمر بذلك، هكذا تحولت الأندلس من إمارة إلى خلافة، واستمر لقب الخليفة في ذرية عبد ارحمن الثالث الناصر من بعده حتى سقوط دولة بني أمية سنة 422 هـ ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، ج2، ص ص 176، 177.

(2) عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأندلسية، المرجع السابق، ص ص 458، 459 .

(3) **الدولة العامرية:** أسس محمد بن أبي عامر المنصور دولته حيث استغل منصبه الحاجب للخليفة الطفل هشام المؤيد الذي لم يتعدّ العاشرة من عمره، فاستولى على زمام الدولة و جرد الخليفة من كل صلاحياته، و لم يترك له إلا الدعاء على المنابر، و بعد وفاة المنصور خلفه ابنه عبد الملك المظفر ثم جاء بعده أخوه عبد الرحمن الذي طمع في الخلافة فثار عليه الأمويون و قتلوه في نفس السنة التي تولى فيها الحكم، و بذلك تنتهي هيمنة العامريين على السلطة (366هـ/399هـ). أنظر: المقري، نفح الطيب،

المصدر السابق، مج 1، ص ص396، 407، أيضا أبو عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس، المصدر السابق، القسم 1، ص 131، أيضا: إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92 هـ /422هـ - 711م /1031م)، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ط2، ص ص 341، 343.

حيث أصبح الوزير أو الحاجب محمد بن أبي عامر المنصور هو الحاكم الفعلي للدولة، مع إبقاء لقب الخلافة لهشام الثاني (حكما صوريا).

بدأ نفوذ بن عامر يزداد في دولة بني أمية، وذلك بتحكمه المطلق في تسيير شؤون الدولة الإدارية والحربية، واستمر نفوذ محمد بن أبي عامر وأبناؤه من بعده[1].

تعد هذه الفترة الجزء الأخير من الخلافة الأموية، والتي بدأت بالسيطرة العامرية (366هـ -399هـ) ثم تلتها مرحلة الفوضى والنزاع عن الحكم إلى غاية 422هـ [2] حيث تم إلغاء منصب الخليفة وانتهاء حكم الأموي بالأندلس، ومن أسباب سقوط الخلافة الأموية، نذكر:

- ضعف الخلفاء المتأخرين من بني أمية.
- وجود أكثر من منافس لمنصب الخلافة، من قبل بني أمية أو من غيرهم.
- تعددت طبقات المجتمع الأندلسي (الأسبان، العرب، البربر، الصقالبة، المستعربون،...)، أصبح كل عنصر يميل لبني جنسه، ويحاول الخروج والاستقلال عن الخلافة الأموية.

ومن أهم نتائج سقوط الخلافة الأموية[3] هو ظهور عهد جديد عرف بعهد ملوك الطوائف، هذا العهد يكرس التجزؤ والانقسام لبلاد الأندلس، حيث ظهرت أكثر من عشرين إمارة متنافسة ومتناحرة فيما بينها، وأدت إلى الضعف، وسقوط أجزاء من الأندلس في يد الأسبان ، يسمي ابن الكردبوس هذا العصر بعصر الفرق. [4]

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، المصدر السابق، ج1، ص 51.

(2) نفسه، ص 51.

(3) **سقوط الخلافة الأموية** :الوضع المضطرب فتح مجال واسعا لطرح إشكالية الخلافة و استحالة بقائها ، ولذلك قام أبو الحزم بن جهور بإلغاء الخلافة نهائيا بتاريخ 12 ذي الحجة 422 هـ الموافق لـ 1031/11/30م، و كان هذا الرجل من وزراء الدولة العامرية أوكلت له تسيير الفترة الانتقالية في قرطبة بعد شغور منصب الخلافة ، وبقي إلى غاية وفاته سنة 435هـ أنظر: ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري، دار الكتاب البناني، 1410هـ/1989م ، المكتبة المصرية، بيروت، 2003، ط1، ص ص 121، 122، أيضا: فراد

محمد أرزقي، القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف القرن الخامس هجري الموافق الحادي عشر ميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 31.

(4) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971، د.ط ، ص78 .

المبحث الثالث: واقع الخطاب في الأندلس من الفتح لسقوط الخلافة

لم يكن المد الإسلامي في الأندلس حركة غزو وغنائم وسيطرة سياسية، فهو يخالف غيره في الأساس والهدف والمنطق والتصور والأسلوب والغاية، بل هو موكب دعوة منيرة وجهاد دائم، ودعوة ميدانها الأرض كلها وبنو البشر كافة[1]، فالمسلمون الأوائل لم ينقلوا الإسلام إلى الأمم، ولكن نقلوا الأمم إلى الإسلام .

1- الخطاب في مرحلة الفتح الإسلامي للأندلس:

ومن هذا المنطلق يظهر دور القادة الفاتحين في حث المسلمين على الجهاد، باستعمال الخطاب الديني شعرا أو نثرا ، للتحفيز والحماسة، وتذكر المصادر التاريخية أن عدد جند طارق بن زياد بلغ سبعة آلاف معظمهم من البربر والموالي وأقلهم من العرب [2]، للقيام بحملة عسكرية على بلاد القوط[3]، وساعدهم يوليان البيزنطي حاكم سبتة في كشف ثغرات البلاد[4]. بعد نزول طارق بن زياد على جبل عرف باسمه(جبل طارق)[5]، واستولى على جزيرة صغيرة تسمى الجزيرة الخضراء[6]، وواصل هزيمة

(1) الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ-897هـ(711م-1492م)، المرجع السابق، ص172،173.

(2) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، طبع في مدينة مجريط (مدريد)، إسبانية، 1867م، ص6.

(3) النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج24، ص24.

(4) عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ-897هـ(711م-1492م)، المرجع السابق،ص46.

(5) حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس "تاريخ وفكر وحضارة وتراث"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1416هـ/ 1996م، ج1، ص18.

(6) **الجزيرة الخضراء:** هي أول مدينة تم فتحها في الأندلس، وهي تطل على بحر شلطيش نحو ميل، وهي مدينة ذات بنيان متصل،أنظر: الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1422هـ/2002م، مج2، ص542.

الجيوش القوطية، فخرج رذريق بجميع عساكره لمحاربة طارق في وادي لكة.[1]

فطلب طارق بن زياد المساعدة من موسى بن نصير الذي بعث له خمسة ألاف من المسلمين فرتبهم وحثهم على الجهاد، وكانت معركة وادي لكة من المعارك الهامة في التاريخ الإسلامي، فقد كان من نتائجها القضاء على دولة القوط الغربيين[2] ، وتحكم المسلمين في جزء كبير من أراضي الأندلس، وواصل كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير الفتوحات الإسلامية، ويظهر هنا دور الخطاب الجهادي في انجازات طارق بن زياد بتحريض جنوده في معركة وادي لكة، وتحقيق النصر، ثم فتح الأندلس[3].

*خطبة طارق بن زياد:

ارتبطت هذه الخطبة برواية حرق طارق للسفن بعد نزوله في الساحل الجنوبي للأندلس، كي يقطع على جنوده أي تفكير في الانسحاب إلى المغرب، فيقاتلوا حتى الموت. [4]. فلما بلغ طارق اقتراب لذريق بجيشه الكثيف، فقام طارق في أصحابه لحضهم على الجهاد، فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة، قائلا: « أيها الناس، أين المَفَرُّ؟ البحرُ من ورائكم، والعدوُّ أمامَكم وليس لكم واللَّهِ إلا الصدقُ والصَبْرُ. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتام في مَأْدُبَةِ اللِّئام، وقد اسْتَقْبَلَكم عدوّكم بِجَيْشِهِ وأَسْلِحَتِهِ....»[5].

فهذه الخطبة تتضمن التنبيه و التحذير وتدعو للصبر لمواجهة الجيوش القوطية بهدف تحقيق النصر وترسيخ قواعد جديدة للإسلام في هذه الجزيرة.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق،ج2،ص8.

(2) ابن خلكان(لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1977م-1397هـ، مج5، ص321-328.

(3) عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول –القسم الأول من الفتح إلى بداية عهد الناصر، 1417هـ-1997م، مطبعة المدني، القاهرة، ط4، ص45.

(4) سوزي حمود، الأندلس في العصر الذهبي، 1430هـ-2009م، دار النهضة العربية، بيروت، ط01،ص38.

(5) المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق، مج1، ص241،240.

وواصل خطبته قائلا :

«... وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفُكم ولا أقواتَ إلا ما تَسْتَخْلِصُونَه من أيدِي عدوِّكم، ...، ولاَ حَمَلْتُكُم عَلى خُطَةِ أَرْخَصُ مَتَاعِ فِيهَا النُّفُوس إلا وأنَا أَبْدَأُ فِيهَا بنفْسِي، ...فَلاَ تَرغبُوا بِأنْفُسكمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوفَى مِنْ حَظِي، وقَدْ بَلَغْتُم مَا أُنشأْتْ هَذِهِ الجَزيرةَ مِن الحُورِ الحِسَانْ مِن بَناتِ اليُونَانْ الزَافِلاتْ في الدرِّ والمَرجان والحِلل المَنسُوجةٌ بالعُقيانِ، المَقصّرات في قُصّور المُلوكِ ذِي التِيجَّان وقَد انتَخبكُم الولِيد بُن عبد المَلك أَمِير المُؤمنين من الأبطَال عربانَا... ».[1]

يبدو أن القائد يريد أن يوصل رسالة إلى جنده على أن مواجهة النصارى هي معركة فاصلة وهي مسألة حياة أو موت، ثم يواصل طارق خطبته بترغيب الجند في القتال والاستحواذ على ملك لذريق، في قوله:" ...واعْلمُوا أَنكُمْ إِن صَبرتُمْ عَلَى الأشق قليلاً اسْتمْتَعتمْ بِالأرفةِ الألذ طَويلاً"[2].

وقد شكك بعض المصادر التاريخية في انتساب هذه الخطبة لطارق لأنه بأن من الأمازيغ (البربر)، إذ ليس من المتوقع أن تكون لغته العربية قد وصلت إلى هذا المستوى العالي[3].

تعد خطبة طارق بن زياد من أروع الخطب الحربية التي عرفها التاريخ، وهي من النوع الحماسي والحض على الجهاد، والهدف الأساسي منها هو تحريض الجُند على القتال، وبعث الحماس في نفوسهم، وحثهم على الصمود والثبات لمواجهة العدو والانتصار عليه، ويظهر ذلك من خلال خطبته، فبدأها باستعمال أسلوب التنبيه والتحذير في قوله: (أيها الناس، أين المفر؟...)، ثم شخص لأصحابه صورة عامة لظروف التي هم فيها، مما يفرض عليهم الصمود والثبات لمجابهة

(1) المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق، مج1، ص240، 241.

(2) نفسه، ص240، 241.

(3) راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، 1432هـ-2011م، ط1،ج1، ص57.

العدو. كما اعتمد طارق في خطبته أسلوب المقابلة بين وضعيتهم ووضعية أعدائهم، فالمسلمون محاصرون بين البحر والنصارى، وقد شبههم في وضعهم هذا بالأيتام الضائعين في مأدبة اللئام، لا سند لهم إلا سيوفهم، وإيمانهم بربّهم، وحذرهم من خطورة النتائج، إن طالت بهم الأيام في معركتهم مع النصارى.

وتذكر بعض المصادر أن لطارق بن زياد شعرا تحريضيا للجهاد، إذ أورد له المقري في "نفح الطيب" بعض الأبيات الشعرية وهي :

رَكِبْنا سَفيناً بالمَجازِ قصيَّراً * عسى أنْ يكونَ اللهُ منّا قدِ اشْتَرى**

نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنَّةٍ * إذا ما اشْتَهَيْنا الشيءَ فيها تَيَسَّرا**

ولسْنا نُبَالي كَيْف سَالتْ نُفوسُنا * إِذا نحنُ أَدْركنا الذي كان أَجْدَرا** (1)

يتبن لنا أن الفتح الإسلامي للأندلس لم يخلو من الخطب الجهادية، وإن قلت في المصادر التاريخية، ومن أشهر هذه الخطب خطبة طارق بن زياد التي شككت فيها بعض المصادر بحجة اللغة المستعملة في الخطبة، باعتبار طارق بربري.

(1) محمود شلبي، حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس، دار الجيل، بيروت ، 1412هـ-1992م، ط1، ص205.

2-الخطاب في عصر ولاة الأندلس:

تميز عهد الولاة (95هـ-138هـ) باضطراب الأوضاع السياسية بالأندلس، وهذا بسبب الصراع والنزاع حول السلطة بين العرب والبربر، وظهور النزعة القبلية العرقية بين القيسية واليمنية، رغم هذا النزاع شهدت الأندلس قيام بعض الولاة بالحملات الحربية ضد الفرنجة في الأقاليم الشمالية من شبه الجزيرة الإيبرية[1].

وفي ظل هذه الأوضاع السياسية برز الخطاب الجهادي بقوة للتحريض على القتال، ودفع المماليك النصرانية نحو شمال الجزيرة، كما وجد في هذه الفترة نفر من الصحابة والتابعين[2]،الذين كان لهم دورا في شحذ الهمم، وتقوية العزائم، وتحميس الجند على الجهاد منذ الفتح إلى غاية عصر الولاة.

وبرز أيضا الأدباء في الشعر والنثر في فترة الولاة، واستغلوا الأغراض الأدبية لخدمة الجهاد في الأندلس، ففي الشعر تذكر لنا بعض المصادر كابن القوطية، أبو الأجرب جعونة بن الصمة[3]، واشتهر بمدح الصميل بن حاتم رئيس القيسية، وقد أورد الباحثين أبيات قليلة من شعره في قوله:

ولقدْ أَرانِي من هواي بِمَنزلٍ ** عَالٍ ورَأْسِي ذُو غَدَائِرَ أَفْرَعُ**
والعيشُ أَغْيَدُ سَاقطٌ أَفنَانُهُ ** والماءُ أَطيبُهُ لنَـا والمَرْتَـعُ [4]**

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، المصدر السابق، ص10. وأيضا: ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق، ج2،ص30-56 .

(2) **من الصحابة:** المنيذر الإفريقي، ومن التابعين: موسى بن نصير، وعلى بن رياح، وحنش الصنعاني، وابن يزيد المعافري، وعياض بن عقبة الفهري، وعبد الجبار بن أبي سلمة، أنظر: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2،ص51، وأيضا: المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت ، 1426هـ-2006م، ط1، ص20.

(3) **بن الصمة:** هو جعونة بن الصمة أبو الأجرب الكلبي، من قدماء شعراء الأندلس، ذكره أبو محمد علي بن أحمد فقال:" وإذا ذكرنا أبا الأجرب، لم نبالي به إلا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما". ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،

المصدر السابق، ص189.

(4) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1993م، ج1، 132.

ومن شعراء تلك الفترة كذلك أبو الخطار[1] بن ضرار، من أشهر القحطانيين في الأندلس، و شهد فتوح المسلمين، وقد وفد علىها واليا سنة 125هـ-742م، ومن شعره، قوله في ثأر لعزيز من قومه:

فليتَ ابنَ جَوّاسٍ يُخبَّرُ أنني * سَعيْتُ بهِ سعْيَ امرىءٍ غيرِ غافلِ**

قتلتُ به تسعينَ تحسَبُ أنَّهم * جُـــذوعُ نخيلٍ صُرِّعَتْ بالمسايلِ [2]**

ومن شعره في معاتبة الحكام المروانيين لنصرة القيسيين على اليمنيين:

أَفَادَتُم بَنِي مَروانَ قيساً دِمَاءُنَا * وفِي اللهِ إن لَم تُنْصِفُوا حُكْمَ عَدِلٍ**

كَأنَكُم لَمْ تَشْهَدُو مَرَجَ رَاهِطٍ[3] * ولَم تَعْلمُوا مَنْ كَانَ ثُم لَهُ الفَضلُ**

وقَيْنَاكُم حَرَّ الوَغَى بِصدُورنَا * ولَيسَتْ لَكُم خَيْلُ تُعَدٌ ولَا رِجَـــلٍ**

فلَما رَأَيتُم واقِدَ الحَربِ قَد خَبْتِ * وطَاب لكمٌ مِنها المَشارِبٌ والأُكلُ[4]**

وقد عرف عصر الولاة نماذج ضئيلة من النثر الجهادي، خاصة وأن الخطابة كانت ضرورة تقتضيها ظروف الحرب والنزاع القبلي، فلا يمكن أن نتصور المسلمين في الأندلس قد عاشوا فترة الولاة دون أن يصغوا إلى الخطباء.

---

(1) **أبو الخطار**: ذكره الكلبيُّ في " جمهرة النسب"، فقال: حسام بن ضرار الكلبي من ربيعة بن حصن بن ضمضم بن طفيل بن عمرِو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، يكنى حسام أبا الخطار، كان أمير الأندلس، ووالياً لها بعد قتل أميرها عبد الملك بن قطن، وحكمها في فترة الفتنة، التي أخمدها.أنظر:الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، المصدر السابق،ج1،ص292.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، المصدر السابق، ص188-189.

(3) **مَرَجَ رَاهِطٍ** : معركة دارت بالشام سنة 65هـ، في عهد مروان بن الحكم ومعه اليمنيون بقيادة حسان بن مالك الكلبي ضد القيسيين المشايعين لابن الزبير بقيادة الضحاك بن قيس الفهري، وانتهت بهزيمة الضحاك، أنظر: ابن كثير (أبو الفداء الحافظ)، البداية والنهاية، دار المعارف بيروت، 1413هـ/1992م، مج8،ص241.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، المصدر السابق، ج1، ص189، وأيضا: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، المصدر السابق ، ص18-19. وأيضا: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس: تح: لويس مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983، ج1، ص102 ،103.

وتذكر لنا الكتابات التاريخية بعض الخطب في فترة الولاة، ومنها خطبة عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى **تدمير** أحد حكام القوط، وقد جاء فيها:« بسم الله الرّحمن الرّحيم، من عبد العزيز إلى تدمير، أنّه نزل على الصّلح، وأنّه له عهد الله وذمّته، ألاّ ينزع عن ملكه، ولا أحد من النّصارى عن أملاكه، وأنّهم لا يقتلون، ولا يكرهون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ما تعبد ونصح، وأنّه لا يأوي لنا عدوّاً، ولا يخون لنا أمناً، ولا يكتم خبراً علمه، ....»[1]

ومما حفظت لنا الكتابات التاريخية أيضا خطبة يوسف الفهري آخر الولاة، إلى عبد الرحمن بن معاوية حين علم بنزوله بالأندلس، ومحرر هذه الخطبة هو خالد بن يزيد، كاتب يوسف الفهري ورسوله إلى عبد الرحمن، حين أراد أن يكسب ودّه، ويتفادى خطره[2]، وتذكر المصادر التاريخية الجزء الذي بقي من الرسالة:

« أما بعد فقد انتهى إلينا نزولك بساحل المنكّب، وتأبُّش من تأبَّش إليك، ونزع نحوك من السُّرَّاق، وأهل الختر والغدر ونقض الأيمان المؤكّدة الّتي كذبوا الله فيها وكذبونا، وبه _جلّ وعلا_نستعينُ عليهم، ولقد كانوا معنا في ذرى كَنفٍ ورفاهية عيش، حتّى غمصوا ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفا، وجنحوا إلى النّقض، والله من ورائهم محيطٌ، فإن كُنتَ تريد المال وسَعَة الجناب، فأنا أولى لك ممن لجأتَ إليه، أكنفُك، وأصلُ رَحِمَك، وأُنزلك معي إن أردتَ وبحيث تريد، ثم لك عهدُ الله وذِمّتُه في ألا أغْدِر بك، ولا أُمكِّن منك ابن عمّي صاحب إفريقية ولا غيره»[3]

ومن خلال هذه الخطبة يتبين لنا المسائل التي عالجتها:

-عرفت فترة الولاة نزاعات قبلية وتنافس على الحكم، والدليل على ذلك تولي أكثر من عشرين واليا في مدة قصيرة نسبيا، أي ما يقارب اثنين وأربعين سنة.

---

(1) أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص76.

(2) لابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج2، ص67.

*تأبش: وتعني تجمع وتجيش أي نزول جيش عبد الرحمن بن معاوية:ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج6، ص263.

*الختر: شبيهة بالغدر والخديعة . نفسه، مج4، ص229.

*غمصوا: وتعني أنكروا واستقلوا . نفسه، مج7، ص61.

(3) لابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق، ج2، ص45 ،46.

– استغل النصارى الانقسام والتشرذم بين مسلمي الأندلس، ومحاولتهم السيطرة والاسترداد الأراضي.
– يتبين لنا من رسالة الفهري لعبد الرحمن الداخل التحذير من أطماع الداخل في سلطة الأندلس.

وخلاصة القول: عرفت فترة الولاة بالأندلس حركية كبيرة في جهاد الأعداء، ودخلوا في معارك كثيرة منها معركة بلاط الشهداء[1] التي قادها والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي سنة 114هـ، وقدم المسلمون تضحيات جسام في هذه الفترة، ولا شك أن الدافع والمحفز في هذه المعارك هو الخطاب الجهادي الذي تميز به القادة والعلماء. إلا أن المصادر التاريخية في هذه الفترة لم تذكر الخطاب الجهادي أو الرسائل التحريضية، بل ركزت على الجانب السياسي والاجتماعي والعسكري، عوض إبراز دور الخطاب الجهادي في تثبيت ركائز الوجود الإسلامي بالجزيرة.

3-الخطاب في عهد الإمارة و الخلافة الأموية بالأندلس:

عرفت الأندلس في عهد الإمارة الأموية تطورا كبيرا في الحياة العلمية. وازدهار الأدب والشعر وبروز أول جيل من الأدباء الأندلسيين الذين ساهموا في هذه النهضة .

حيث تذكر المصادر التاريخية أن أول أمير في عهد الإمارة عبد الرحمن الداخل كان عالما باللغة، وشاعرا وأديبا ومن أقواله:

أَيُهَا الرَاكِبُ المُيمِّم أَرضِي * أقرِ مِن بَعْضِيَ السَلاَمَ لِبعْضِي**

(1) **معركة بلاط الشهداء:** هي معركة حدثت قرب تور وانتهت قرب بواتييه على مقربة من باريس حاليا، ومعناها قصر الشهداء، حدثت في رمضان من سنة 114هـ، قاد الجيش الإسلامي والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي، وانهزم فيها المسلمون. واستشهد فيها عبد الرحمن الغافقي، وتعتبر هذه المعركة، معركة فاصلة في التاريخ العالمي، ترتب عنها تغير مجرى التاريخ لحد كبير، حيث قال جيبون:" لو إنتصر العرب في تور– بواتييه، لتلي القرأن وفسر في أكسفورد، وكمبردج" ينظر: شوقي أبو خليل، بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، 1980م، ط2، ص33–36.

إنَ جِسْمِي كمَا علمْتَ بِأرضِ * وفُؤادي ومَالكِيهِ بِأرضٍ**

قُدِّرَ البَينُ بَيننَا فافْترقنا * وطَوى البينُ عن جُفونيَ غمْضِي**

قدْ قضَى اللهُ بالفِراقِ علينا * فعَسَى باجْتماعِنا سوْف يقْضِي[1]**

شارك الحكام في الحياة الأدبية في تلك الفترة[2]، بهدف إصلاح الأحوال السياسية التي عانى منها الأندلسيين من قبل.

تطور الخطاب الجهادي في عصر الإمارة خاصة في عهد الأمير المؤسس عبد الرحمن الداخل الذي أفنى حياته في ترتيب الأوضاع الداخلية وجهاده في الثغور، باستعمال أساليب جديد, تساهم في رفع معنوية المسلمين وتحميسهم للجهاد، وتذكر المصادر التاريخية بعض الخطب التحريضية التي تنوعت بين الشعر والنثر نذكر منها:

و**أبو المخشي**[3] في قصيدة له يمدح عبد الرحمن الداخل، وتمجيد بعض انتصاراته فيقول:

وإذا تَسَاءلَ عَن مَواقِع مَعشَر * وذَويهِمُ طَلَبَ الذي لَمْ يَقدِر**

رُشدُ الخليفةِ إذ غُروا فَرمَاهُم * بالمُوبِذي الجُهْم و المُتأَزِ[4]**

وغدًا سُليمان السَماحُ عليتهُم * كَاللَيثِ لا يَلوي علَى مُتعذرٍ[5]**

(1) وابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب، المصدر السابق، ج2، ص71.

(2) أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، المرجع السابق، ص80.

(3) **أبو المخشي:** هو عاصم بن زيد بن يحي بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد بن عدي العبادي، أبو المخشي، شاعر الأندلس في زمانه، كثير الهجاء، وقطع الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل لسانه، لأنه عرض به في قصيدة مدح بها أخاه أيوب، وكان بين الأخوين تباعد.ينظر: الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنأوط وتركي مصطفى، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م ط1، ج16، ص323.

(4) الموبذي: فقيه الفرس، وحاكم المجوس، والجهم : الغليظ، والمتأزر :المتقوي.ينظر: مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، المصدر السابق، ص132، 133.

(5) نفسه، ص 132 ، 133.

ويقول الحكم بن هشام مفتخرا ببطولته وانتصاره في **موقعة الربض**[1]:

رَأيتُ صُدوعَ الأَرضِ بِالسيف راقِعَا * وقَدمًا لأَمتْ الشعبِ مذ كُنتُ يافعًا**
فسائِلِ ثُغورِي هَلْ بها اليومُ ثَغرةُ * أُبــَادِرُها مُستَنَضِيَ السَيفِ دِارعَا**[2]

وهناك مجموعة كبيرة من شعراء عهد الإمارة برزوا في التحريض على الجهاد، وحاربوا النصارى بأقلامهم وألسنتهم.

كما حفظت لنا بعض المراجع نماذج نثرية للخطاب التحريضي في فترة الإمارة الأموية، فمن أمثلة النثر التحريضي، ما قاله عبد الرحمن الداخل لأصحابه يحثهم على القتال يوم أن خاض المعركة الفاصلة ضد يوسف الفهري، آخر ولاة الأندلس، فقال في خطبته:
« هذا اليومُ هو أُسُّ ما يُبْنَى عليه: إمّا ذُلُّ الدّهر وإمّا عزُّ الدّهر، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون، تربحوا بقيّة أعماركم فيما تشتهون»[3].

ومن خطب عبد الرحمن الداخل أيضا، خطبة وجهها لسليمان الأعرابي[4] الذي خرج عن طاعته يقول فيها: « أمـّا بعد، فدعني من معاريـض المعاذير، والتّعسّف عـن جـادّة الطّـريق، لتمدّن يـدا إلى الطّاعة، والاعتصام بحبل الجماعة، أو لأزوين بنانها على رضف المعصية، نكالاً بما قدّمت يداك، وما الله بظلاّم للعبيد».[5]

(1) **موقعة الربض:** حدثت واقعة الربض سنة 202هـ، فـي ناحية قرطـبة، حيث ثـار أهل قرطبة بتحـريض مـن حزب الفقهاء المعارض للحكم بن هشام، لكنه أخمد هذه الثورة، ونكل بأهل الربض. ينظر: بوفلقة محمد سيف الإسلام، التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الأمان للطبعة والنشر والتوزيع الرباط، ص8.

(2) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، المصدر السابق، ص132-133.

(3) المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص42.

(4) **الأعرابي:** سليمان بن يقظان الكلبي القضاعي المعروف بلقب الأعرابي والي برشلونة إبان حكم عبد الرحمن الداخل .ثار على عبد الرحمن الداخل عام 157هـ773 ، وحالف شارلمان إمبراطور الإمـبراطورية الرومانية ، إلا أن فشـل حملة شارلمان على شرق الأندلس التي دعاه لها الأعرابي، كان سببًا في أسر شارلمان له عقابًا له على فشل الـحملة ينـظر: شكيب أرسـلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،د.س،د.ط، ص117.

(5) نفسه ،ص315. وأيضا: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج2،ص58.

*أما فترة الخلافة الأموية بالأندلس:

شهدت الخلافة الأموية بالأندلس في عهد عبد الرحمن الثالث (لقب الخليفة الناصر لدين الله)، وابنه الحكم الثاني نهضة أدبية، ساهمت في تطور الخطاب ، وتوظيفه في الحياة الحربية، وجاء في شعر منذر بن سعيد، الذي أشار لوفود سفارة إمبراطورية الروم على الناصر، بقوله:

تَرى النَّاس أَفواجًا يَؤُمُونَ بِابهِ * وكُلـهُم مـا بينَ رَاجٍ وآمـلِ**
وفودٌ مُلوكِ الرومِ وسَـطَ فِنائهِ * مَخافةَ بـأسٍ أو رَجاءَ لنَائِلِ**
فَعشْ سَالمًا أقصَى حياة مؤملاً * فأنَتَ رَجاءٌ الكُلِ حَافِ ونَاعل**
سَتملِكُها مَا بين شَرقٍ ومغربٍ * إلِى دَربِ قَسْطَنطِينْ أو بَابِلِ[1]**

ومن خطب النثر التحريضي في فترة الخلافة الأموية بالأندلس، خطب وجهها عبد الرحمن الناصر إلى حكّام الأقاليم لإخبارهم باتخّاذه لقب الخليفة، وإلزامهم مخاطبته به، ونصّه: « بسم الله الرّحمن الرّحيم، أمّا بعد، فإنّا أحقّ من استوفى حقّه، وأجدر مـن استكمل حظّه، ولبس مـن كـرامة الله ما ألبسه؛ للـذي فضَّ لـنا به وأظـهر أثرتنا فيه، ورفـع سلطاننا إليـه، ويسّر على أيدينا إدراكه، وسهل بـدولتنا مـرَامه؛ وللّذي أشـاد فـي الآفاق مـن ذكرنا وعُلُوّ أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا، والحمد الله ولي الإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضّل علينا فيه».

ويواصل رسالته بقوله:« ... وقد رأينا أن تكون الدّعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عندنا ووردها علينا بذلك؛ إذ كلّ مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومتّسم بما لا يستـحقّه، وعلمنا أنّ التّمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه، فأمُرِ الخطيب بموضعك أن يقول به، وأَجرِ مخاطبتك لنا عليه، إن شاء الله، والله المستعان».[2]

(1) المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص174.
(2) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق، ج2،ص198.

ومن خلال ذلك نلاحظ ازدهار ألوان مختلفة من الأدب في عصر الإمارة و الخلافة الأموية ومنها فن **الخطابة** عند الأندلسيين بهدف إثارة الحماسة وبث روح الجهاد ونشر الدين، نظرًا لأن هذه الفترة التاريخية، كانت عصر قتال مستمر سواء في مواجهة الثورات الداخلية أو الممالك المسيحية التي كانت تسعى لاسترداد الأراضي التي فتحها المسلمون .اتسمت الخطابة بسهولة العبارة والبعد عن السجع والإيجاز والبلاغة ووضوح المعاني.

4-الخطاب التحريضي في عهد الدولة العامرية:

شهد عصر محمد بن أبي عامر المنصور غزوات كثيرة ضد المماليك المسيحية الشمالية، وكانت له في كل عام غزوتان في الربيع والخريف، تحت اسم (الصوائف والشواتي)، وبلغت غزواته في حدود سبعة وخمسين غزوة قادها بنفسه، ليدعم نفوذه ويكسبه شرعية في الحكم وشعبية بين الناس، فقد اجتاحت جيوشه عدة مرات أقاليم الشمال، وانتصرت في قشتالة وجليقة وقطلونية[1].

فالدولة العامرية اهتمت بدوافع التحميس للجهاد خاصة في فترة المنصور بن أبي عامر، وتذكر المصادر التاريخية بأن المنصور قد صحب في إحدى غزواته أربعين شاعرا من طبقات مختلفة[2]، وهذا يبرز اهتمام حكام الدولة العامرية بمحفزات الجهاد، ورفع معنويات جيوشه ضد نصارى بالأندلس، وبعث المنصور ابن أبي عامر رسالة يهدد فيها الفاطميين، وهي عبارة عن قصيدة شعرية جاء فيها:

مَنْعُ العَينِ أَن تَذُوقَ المَنـامَا * حُبًا أَن تَرى الصَفاءَ والمَقامةَ**
لي دِيونِ بالشرقِ عندِ أُناس * قد أَخلوا بالُمشعرِين الحرامـا**
إِن قَضوهَا نَالوا الأَمَاني وإلا * جَعلوا دونَـها رقابًا وهَامَـا**
عَن قَريبٍ تَرى خُيولَ هِشامٍ * يَبلغ النَيل خُطوها والشَامٌ[3]**

(1) الهاشمي عبد المنعم، الخلافة الأندلسية، المرجع السابق، ص537، وينظر أيضا، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق ، ج2، ص 417.

(2) المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص187. و ابن بسام (أبي الحسن علي الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، قسم4 ، مج1، ص32،31.

(3) عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأندلسية، المرجع السابق، ص554.

بعدما ملك المنصور بن أبي عامر الأندلس هو ذا يرسل رسالة إلى المشرق الإسلامي ويبين من خلالها لهم أنه حامي الديار الإسلامية ومدافعا عن مقدساتها، وهذه الرسالة عبارة عن قصيدة شعرية، بدأها بتحذير العبيديين عندما سيطروا على منطقة الحجاز، واستولوا على الحرمين الشريفين، وفيها تهديد للدولة العبيدية بغزو أراضيها (مصر والشام)، وإعلان الحرب عليها في حالة عدم انسحابها من الأراضي المقدسة.

الفصل الثاني: واقع الخطاب الجهادي في عصر ملوك الطوائف(422هـ – 503هـ)

تمهيد:

المبحث الأول: دوافع وعوامل الخطاب الجهادي في عصر ملوك الطوائف:

- ضعف الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه.
- انعدام الوحدة السياسية بين مسلمي الأندلس.
- ابتعاد الكثير من مسلمي الأندلس عن الجهاد في سبيل الله.
- انتشار العصبية القبلية بين مسلمي الأندلس.
- تدخل النصارى في شحن الصراع بين المسلمين.

المبحث الثاني: الخطاب التحريضي في عصر ملوك الطوائف:

- أثر وقوع مدينة بربشتر في الخطابات التحريضية للجهاد لفقهاء وعلماء الأندلس.
- تحريض الفقهاء لحكام الطوائف على الجهاد بالأندلس.
- نموج لخطب حكام الطوائف لتثبيت روح الجهاد لمسلمي الأندلس.
- دور الأدباء والشعراء في استنهاض روح الجهاد لحكام الطوائف.
- استنهاض علماء الأندلس همم المتخاذلين عن الجهاد من أمراء الطوائف.

المبحث الثالث: حض واستنجاد حكام الطوائف بالمرابطين للجهاد في الأندلس:

- رسالة المعتمد بن عباد ليوسف بن تاشفين للجهاد بالأندلس.
- نماذج لخطب جهادية لحكام المغرب الإسلامي من خارج وداخل أرض الأندلس.
- دور قضاة وفقهاء الأندلس في تحرض حكام المرابطين للجهاد بالأندلس.

تمهيد:

التاريخ الإسلامي حافل بالأحداث والوقائع المشهودة، إذ نجد دولة زالت وسقطت، وتمكن أحد من إعادة إحيائها من جديد في منطقة أخرى. استطاع عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل، بعث دولة بني أمية في الأندلس سنة 138هـ، والتي لم يتجاوز عن سقوطها بالمشرق سوى ستة سنوات [1].

إن ضعف دولة الأمويين وسقوطها في المشرق انعكس سلبا على بلاد الأندلس، فتفككت أواصرها الداخلية وانتثرت بنيتها السياسية إلى أجزاء مستقلة.[2]

ويرجع المؤرخون هذا الوضع الذي آلت إليه الأندلس، لطبيعة المجتمع الأندلسي، الذي تميز بتعدد أعراقه وقومياته من عرب وبربر وصقالبة ومولدين واسبان. قد ساهم هذا الوضع في عدم التجانس، وظهور بوادر الفرقة والاختلاف داخل الجزيرة، بعدما كان الإسلام قد وحدها وأزال النزعة القبلية. المنصور بن أبي عامر(392-366هـ) احتوى هذه العناصر، وضرب بعضها ببعض، واستكثر في جيوشه من البربر للحد والتقليل من نفوذ العرب الذين شكلوا طبقة أرستقراطية، وفقدوا مؤهلاتهم الحربية، وكانوا يسعون لتدبير الدسائس والمؤامرات، لكن أبي عامر زرع بسياسته بذور الخلاف بين هذه العناصر المتنافسة على السلطة، و تحولت إلى فتن، أدت لاندلاع حرب أهلية في الأندلس مهدت للانقسام وظهور ممالك الطوائف[3].

---

(1) ابن عبود أمحمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف، المعهد الجامعي للبحث العلمي تطوان، 1983م،ص25.

(2) المرجع نفسه، ص 25.

(3) فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983م، ،ط2، ص227.

عمل المنصور بن أبي عامر على مد حدود دولة الإسلام في الأنـدلس إلى مناطق لم تصـلها حتى في عـهد الناصر (350-300هـ)/(961-912م)،والمستنصر (366-350هـ) / (961-976م)، وأرغم بحملاته العديدة، ملوك النصارى في شمال اسبانيا على الخضوع لإرادته والقـبول بـسلطته[1]، واسـتمر هـذا الوضع في عهد خلفه عبد الملك المظفر[2]، الذي اتـبع سيـاسة أبيه المنصور. تغير الوضع بشكل جذري بعد وفـاته، وانتقال الحجابة إلى أخيه عبد الرحمان[3] والـذي لم يكن يتـصف بصـفات أبيه ولا بأخيه. وقد وصفه ابن عذاري في البيان، بأنه: « كان شابا طائشا ومجاهرا بالفتك، وشرب الخمر، وتبرأ منه القاضي أبو العـباس بـن ذكوان، ويفسقه ويكره أمره ويستعظم ما يدعى الناس إليه من قتال جـماعة المسلمين بقرطبة...، لاسـتباحة من فيها»[4]

و مما زاد في الأمر تعقيدا أن الـرجل أقدم على أمر خطير، و هو إرغـام الخليفة علـى إصـدار مـرسوم يقضي بتعيينه ولي عهد له[5]، و هو أمر لم يجرؤ عليه من سبقوه في الحجابة، رغم ما اشتهروا به من حكمة و سـياسة في التسيير، و أشعل هذا القرار نفوس أهل قرطبة الذين كانوا يبغضون الدولة العامرية، فازدادوا حقدا عليه [6].

---

(1) لمراجعة غزوات المنصور بن أبي عامر، وانتصاراته على نصارى الشمال الاسباني راجع: ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام ، المصدر السابق، ص59-83.

(2) **عبد الملك المظفر**: هو أبو مروان عبد الملك بن أبي عامر الملقب بالمظفر بالله، ولي الحجابة لهشام المؤيد بعد وفاة أبيه المنصور (392 هـ/1001 م، و بقي فيها حتى وفاته (399هـ/ 1009م)، أنظر:ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق ،ج 3، ص ،15، 18 .

(3) **عبد الرحمان**: ويعرف باسم عبد الرحمان شنجول، وأطلق عليه هذا الاسم من قبل أمه، تصغيرا لاسم أبيها شانجة أي سانشويلو Sanchuelo، لأنه كان يشبهه، وأم عبد الرحمان كانت بنت شانجة الثاني ، وكان أبوها قد قدمها زوجة للمنصور بن أبي عامر، فأسلمت وأنجبت له عبد الرحمان. أنظر: ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، المصدر السابق، ص66، وينظر أيضا: ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس ، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2، ج1،ص 272.

(4) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق، ج 3، ص39.

(5) ابن عذارى المراكشي ، المصدر نفسه، ج 3، ص48.

(6) مكي محمود :تاريخ الأندلس السياسي – الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ج1 ، ص97.

لم يجد الخليفة هشام المؤيد مخرجا، إلا تلبية رغبة عبد الرحمان، لضعفه وسوء تدبيره ونقصان فطرته[1].

أثـار هذا التصرف مشاعر الأمويين، وزاد من مخاوفهم وحقدهم الشديد على العامريين فقد أبعدوا من الوظائف الإدارية، وتم إقصاؤهم من المناصب الهامة في الجيش، منذ أيام المنصور بن أبي عامر، ومن بعده ابنه عبد الرحمان ليقضي على ما تبقى لهم من مكانة داخل المجتمع القرطبي[2].

واجتمعت هذه الأحداث التاريخية، مشكلة الأسباب الحقيقية لظهور الفتنة التي سميت "بالفتنة البربرية"[3]، داخل المجتمع القرطبي، والتي سرعان ما تحولت إلى حرب أهلية بين الأمويين ومن ناصرهم من الأندلسيين، والبربر. وهذا ما جعل الصراع يتأجج، بسبب ضعف السلطة المركزية في قرطبة، بعد فشل عبد الرحمان شنجول في غزو قشتالة سنة 399هـ، تراجعت مكانته وانحطت صورته أمام العامة[4].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في إختصار،المصدر السابق، ج3، ص38.

(2) يذكر ابن عذاري أن عبد الرحمان أمر أعيان قرطبة من الأمويين والعرب أن يتزيوا بالزي المغربي، وأن يخلعوا قلا نسهم الطوال المرقشة، التي كانوا ينباهون بها أمام العامة، أنظر :ابن عذارى المراكشي البيان المغرب، المصدر السابق، ص329.

(3) يختلف المؤرخون في تحميل البربر المغاربة لوحدهم مسؤولية هذه الفتنة، والظاهر أن التسمية جاءت متأثرة بكتابات بعض المؤرخين من ذوي الميول الأموية، كابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، وابن حيان القرطبي (ت496هـ)، ويفضل بعض المؤرخين استخدام مصطلح ينصف البربر "كالفتنة القرطبية" أو فتنة محمد بن هشام بن عبد الجبار. راجع: بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي):422-300هـ/912م-1031م، وهي رسالة دكتورة دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة السانيا، وهران، 1423هـ/2002م، ص394-424.

(4) Levi- provençal: histoire de l'Espagne musulmane, tome 3, paris, 1953,P295.

أمـام هذه السياسة الردعية التي انتهجها" شنجول "ضد الأمويين دفعت بهم إلى الثورة ضدّه وإعادة الخلافة إلى الأمويين، وولّوا أمرهم إلى" المهدي بالله "[1].

التفّ البربر حول" سليمان بن الحكم "وبايعوه بالخلافة سنة(399هـ)، وتسمى "بالمستعين"[2]، وانقسمت بذلك الأندلس إلى حزبين :حزب يؤيد " سليمان المستعين "وهم البربر وحزب يؤيد" محمد بن هشام المهدي "وهم الأندلسيون.

هذه الفتنة بين المسلمين اتخذت منحى خطير في تاريخ الأندلس،خاصة بعد تدخل نصارى الشمال في شؤون المسلمين،حيث بدأ كل طرف يستعين على خصمه بالنصارى. فكان من نتائجها سقوط هيبة المسلمين في أعين أعدائهم.

يقول شانجة بن غارسيه[3] بعد دخول قرطبة: ((...كنا نظن أنّ الدين والشجاعة والحق من أهل قرطبة، فإذا القوم لا دين لهم ولا شجاعة فيهم ولا عقول معهم، وإنما اتفق لهم من الظّهور والنصر بفضل ملوكهم، فلما ذهبوا انكشف أمرهم))[4].

عرفت قرطبة في ظل هذه الأزمة دعوة إلى إسقاط الخلافة عن الأمويين، وكان ذلك سنة 422هـ، بعد إعلان الوزير"محمد بن جهور[5]" سقوط الخلافة عن بني أمية، وإلغاء الخلافة

---

(1) الضبي(ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (599هـ/1203م)، ، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، 1410هـ/1989م، ط1، ج1، ص44.

(2) نفسه، ص-44، 45.

(3) **شانجة بن غارسيه:** هو أحد ملوك قشتالة، إستغل الصراع بين اخوته للوصول للحكم، وستغل الفتنة الداخلية لمسلمي الأندلس، فدخل ألبيرة، وأحرق جامعها. ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، ج4، ص 50- 56.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص90.

(5) **محمد بن جهور:** هو جهور بن محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن يحي بن عبد الغافر بن أبي عبيدة، كان من وزراء الدولة العامرية، موصوفا بالدهاء والعقل، صار له تدبير أهل قرطبة وهو أحد أعيان الجماعة، أوكلت له الرياسة بعد شغور منصب الخلافة لتسيير الفترة الانتقالية و مكث فيها حتى وفاته، سنة 435هـ/1037م، انظر :المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق، ج 1، ص 302،303.

في قرطبة. في ظل هذا الظرف إستقل كل قائد أو رئيس بناحيته، وأسس لنفسه إمارة أو مملكة، فانقسمت الأندلس إلى عدة إمارات وممالك متناثرة، عرف بعصر "ملوك الطوائف"[1].

يعتبر عصر ملوك الطوائف، من أخطر العصور في تاريخ الأندلس، وأصبح المشهد السياسي يتميز بالصراع والنزاع بين ملوك الطوائف، وفتح الباب واسعا لتدخل النصارى في هذا النزاع، والذي نتج عنه إنقسام الأندلس إلى نحو عشرين مملكة من أشهرها: بنو الأفطس ببطليوس[2] (413هـ -487هـ)، وبني جهور بقرطبة (422هـ -461هـ)، بني عباد بإشبيلية (422هـ-461هـ)، بني هود بسرقسطة (431هـ-512هـ)، بني حمود بمالقة (427هـ-465هـ)[3]، فتنافسوا وتحاربوا حتى أصبحوا مسخرة يتغنى بها الشعراء حيث قال ابن رشيق القيرواني:

مِمَّا يُزَهِّدُنِي فِي أَرْض أَنْدَلُسٍ * أَسْمَاءُ مُعْتَمِدٍ فيها وَمُعْتَضِدِ** [4].

وهكذا أصبحت أرض الأندلس مقسمة لوحدات سياسية متنافسة حول تركة الأمويين، وكان لها انعكاسات سلبية على المسلمين، فتدهورت أوضاعهم السياسية والاقتصادية، وتراجعت حدود الدولة الإسلامية.[5]

وقد وصف ابن الخطيب حال الأندلس عقب الفتنة وقيام دول الطوائف بقوله: ((وذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب، والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث...))[6].

(1) رينهارت دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة، كامل كيلاني، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، 1933م، ط1، ص6.

(2) **بطليوس: Badajoz** كانت إحدى مدن كورة ماردة، وهي على نهر آنة، وتبعد عن ماردة الحاضرة مسافة ثلاثين ميلا إلى الغرب منها، وبطليوس في عصرنا قاعدة الإقليم المعروف بهذا الاسم في اسبانيا.(أنظر: أبا الخيل محمد بن إبراهيم، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275-300هـ)/(912-888م)، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1416هـ/ 1995م، ط1، ص40.

(3) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط2، ص:209 ،210 .

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 114.

(5) محمد عبد الله عنان، دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، 1417هـ=1997م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، المرجع السابق، ص14.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 144.

المبحث الأول: دوافع و عوامل الخطاب الجهادي في عصر ملوك الطوائف

لما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، كان الجيش يتمتع بروح معنوية قوية، لأن أفراده التزموا بتعاليم الإسلام الشاملة التزاما حقيقيا. كما فهم قادته الأوائل الجهاد في سبيل الله على حقيقته، من أجل إعلاء كلمة الله، ونشر دينه في الأرض. ذلك لأنهم قد نشؤوا في بوتقة الإسلام، وقد بدأ هذا الأمر واضحا خلال المعارك الحربية التي خاضها المسلمون ضد النصارى بالأندلس في تلك الفترة، فقد ذكر المؤرخون أنه ما إن رأى النصارى طلائع جيش المسلمين بدأت تجتاح بلادهم، حتى كتب أحد قادتهم –ويدعى تدمير[1]–رسالة إلى لذريق قال فيها:((إنه نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من الأرض خرجوا !))[2].

هكذا كان واقع المسلمين في بلاد الأندلس خلال العصور السابقة لعصر ملوك الطوائف، وبهذا أصبح واقع المسلمين يختلف كثيرا عن واقعهم السابق، واصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر "بعصر الفتنة"[3].

وقد وصف ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس عصر الطوائف بقوله:" دهرنا هذا قد غربل أهليه أشد غربلة فسفسف أخلاقهم، واجتث أعراقهم، وسفه أحلامهم، وخبث ضمائرهم، فاحتوى عليهم الجهل، واقتطعهم الزيف، وأركستهم الذنوب ، ووصمتهم العيوب...واغترارهم بزمانهم، بعَادُهم عن طاعة خالقهم، ورفضهم وصية نبيهم عليه السلام، وذهولهم عن النظر في عاقبة أمرهم"[4]، وهذا ما عانى منه المسلمون في عصر ملوك الطوائف، من واقع سياسي واجتماعي سيء، ونستطيع تحديد جملة من العوامل التي دفعت بالعلماء والحكام للتحريض على الجهاد، من خلال الخطاب الحماسي منها:

---

(1) **دوق Theodemir** : هومن حكام القوط في الجنوب الشرقي من الأندلس، هاجم المسلمين ثم وقع معهم معاهدة صلح في رجب سنة 94هـ= 713م، مع المسلمين بالاعتراف به حاكما على سبعة مدن بالجزيرة، بشرط دفع الجزية سنويا .(ينظر: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص162، 163)

(2) السحيباني حمد بن صالح ، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم (عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا)، دراسة تاريخية تحليلية، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1423هـ/2002م، ط1، ص7.

(3) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، المصدر السابق، قسم3، مج1، ص25. وينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، المصدرابق السابق، ج3، ص194.

(4) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق3، مج1، 188، 189.

1-ضعف الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه:

يقول ابن حزم في وصف حالة المسلمين وابتعادهم عن دينهم: « اللهم إننا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدينهم، عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب، عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سببا في انقراض أعمارهم، وعونا لأعدائنا عليهم...»[1].

أما ابن الكردبوس فقد وصف لنا واقع الحكام المسلمين في عصر الطوائف بقوله: « مشتغلون بشرب الخمر، واقتناء القيان، وركوب المعاصي، وسماع العيدان، وكل واحد منهم يتنافس في شراء الذخائر الملكية...، وافتقرت الرعية، وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية»[2].

ويبدو أن انشغال ملوك الطوائف باللهو والمجون، وشرب الخمور، متأصل في نفوس الكثيرين منهم، فحتى الأدباء والشعراء أدركوا هذا الواقع، ومن هؤلاء "أبو الحسن بن الجد" الذي قال في قصيدته:

أَرَى الملُوكَ أَصَابَتْهُمْ بِأَنْذَلُسٍ * دَوَائِرُ السُّوءِ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ**

نَامُوا وَأَسْرَى لَهُمْ تحْتَ الدُّجَى قَدَرٌ * هَوَى بِأَنجُمِهِمْ خَسْفاً فَمَا شَعَرُوا**

وَكَيْفَ يَشْعُرُ مَنْ في كَفِّهِ قَدَحٌ * يَحْدُو بِهِ مُلْهَيَاهُ النَّايُ وَالوَتَرُ**

أَمَاتَكُم قبل مَوتِ سَوءَ فعلكم * وكَيَف بالذكرِ إذ لم تحْسن السَيرَ؟!**[3]

هكذا وصف المؤرخون حال المسلمين في عصر الطوائف، ببعدهم وعدم التزامهم بأحكام الدين ومبادئه، وقد أدرك هذا الأمر النصارى، واستغلوه لصالحهم في حروب الاسترداد بالجزيرة.

---

(1) ابن حزم، رسائل ابن حزم (384هـ-456هـ) ، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987م، ط2،ج3، ص41.

(2) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، المصدر السابق، ص77، 78.

(3) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، قسم2، ج1، ص256، 257.

2-انعدام الوحدة السياسية بين مسلمي الأندلس:

حينما تـردت الأحـوال السياسية في بـلاد الأنـدلـس، وعـجزت دولة بـنـي أميـة السيـطرة على الوضع، فأعـلن في ذي الحجة سنة 422هـ إلغـاء الخـلافة الأموية، وقـيام دولة بني جهور مكانها، لتحكم قرطبة وما حولها [1]، أمـا بقـية أجزاء بلاد الأندلس فقد قامت فيها دول وممـالك وإمـارات، شكلـت عقـدا جـديدا يتميـز بالـفرقة. وتنـاثر كيـان الأنـدلس الإسلامية إلى أشلاء ممزقة، ومتناثرة[2]، وقد بلغت في مجموعها ستة وعشرين دولة.[3]

وصف ابن عذاري المراكشي في هـذا الحال بقوله: « وأمـا حال سائر الأندلس بعد اخـتلال دعـوة بني أمية... إن أهلها تفرقوا فرقا، وتغلب في كل جهة منها متغلب، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه، وتقسمـوا ألقـاب الخـلافة، فمنهم من تسمى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخـر تـسمى بالمستعين،والمقتدر والمعتصم، والمعتمد،...»[4].

كانت النزعة الاستقلالية قد ترسخت في نفوس حكام الطوائف، ويقول ابن حيان عن إسماعيل بن ذي النون: «هو كـان فرط الملوك في إيثار الفرقة، فاقتدى به من بعده،...فصار جرثومة النفاق، ومنه تفجر ينبوع الفتن والمحن.»[5]

وبهذا أصبحت الأندلس في عصر الطوائف مقسمة لعصبيات هي البربر في الجزء الجنوبي، والصقالبة في شرق الأنـدلس، أما باقي أراضي الأندلس فكانت تحت حكم العـرب[6]، وهـذه

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق6، ج2، المصدر السابق، ص602.

(2) محمد عبد الله عنان، الخلافة الأموية والدولة العامرية، العصر الأول-القسم الثاني، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة،1417هـ =1997م، ط4، ص 186، وينظر: عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، 1409هـ =1988م، شركة سوزلر للنشر القاهرة، 2002، ط2، ص23.

(3) رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانية النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، دار الكتب الإسلامية ،ص272.

(4) السحيباني حمد بن صالح ، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم (عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا)،المرجع السابق، ص45.

(5) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق ق4، ج1، ص110، 111.

(6) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، المرجع السابق، ص 10- 16، وينظر: أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية،د.ط، د.ت، ص89-96.

الكيانات الثلاث كانت تعاني من الضعف. ويقول ابن الخطيب في وصف هذه الفرقة بين المسلمين: «وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد، والتنافس، والغيرة،ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات، فلم تتصل لهم في الله يد ولا نشأ...»[1].

فملوك الطوائف بعد اقتسامهم لأراضي الدولة الأموية، فقد أعلنوا استقلالهم عن أي سلطة، وكان شعارهم: « أحق الناس بالملك من استقل به، والله ما أولي غير نفسي، ولا أقوم إلا بسلطاني...، والله لو نازعني سلطاني هذا الصديق لقاتلته، ولما سلمت له»[2].
وقد صور ابن الرشيق تلك القسمة في ألقاب الخلافة بقوله:

مِمَّا يُزَهِّدُنِي فِي أَرْض أَنْدَلُسٍ * أَسْمَاءُ مُعْتَمِدٍ فيها وَمُعْتَضِدِ**

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا * كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صُورَةَ الأَسَدِ**[3].

ومما لا شك فيه أن تلك التصرفات اللا مسؤولة التي اتبعها ملوك الطوائف في علاقتهم مع رعيتهم، أفقدتهم الثقة بقاعدتهم الشعبية، واتسعت الهوة فيما بينهم، مما زاد من تصدع الوحدة السياسية بين المسلمين، هو التنازع على السلطة و الهيمنة على الأندلس.

ووصف رجب محمد هذا الوضع بقوله :« إن دول ملوك الطوائف لم تكن دولا بالمصطلح السياسي المعروف،وإنما كانت أقرب ما يكون إلى وحدات الإقطاع، أو عصبية الأسرة والجماعة

---

(1) ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، القسم الثاني، المصدر السابق، ص244.

(2) هذا القول منسوب إلى إسماعيل بن ذي النون، ينظر:ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق4، ج1، ص 143، 144.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ق 2 ، ص244، وينظر: المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المصدر السابق، ص105.

القبلية، ولهذا لم تكن بها حكومات منظمة تسعى لصالح من تحت يدها من الشعوب، وإنما كان جل همها السعي لمصلحتها الذاتية، وتدعيم سلطانها، ولا يهمها بعد ذلك أن تسعد الأمة أو تشقى...»[1].

3-ابتعاد الكثير من مسلمي الأندلس عن الجهاد في سبيل الله:

تعتبر حركة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، حلقة في سلسلة جهاد المسلمين، الذي لم يكن حركة غزو وغنائم أو سيطرة سياسية، بل هو مواصلة دعوة إصلاحية تدعو إلى الله، بإتباع منهجها: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.[2]، وكان شعار أولئك المجاهدين، **قوله تعالى:** ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ۚ﴾[3].

وعند الحديث عن واقع الجهاد في عصر ملوك الطوائف، نجدهم نسوا هذا الواجب، وضيعوا تلك الأمانة ، ويرجع المؤرخون هذا الواقع لجملة من الأسباب والعوامل **منها:**

*ضعف الوازع الديني عند كثير من ملوك الطوائف:

بدأ الوازع الديني يخبو في نفوس الكثير من أفراد المجتمع الإسلامي، وتبدلت نياتهم وأهدافهم، وفقدوا حماسة الجهاد، واهتموا بالمصالح الدنيوية، وتمخض عنه ضعف الجهاد، والتخلي عن مقاومة النصارى، الذين أدركوا تراجع المد الجهادي عند حكام الطوائف، حيث قال أحد قادة النصارى في معركة ضد المسلمين: « كنا نظن أن الدين والشجاعة والحق عند أهل قرطبة، فإذا القوم لا دين لهم، ولا شجاعة ، ولا عقول معهم»[4].

(1) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، المرجع السابق،،ص275.

(2) عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ/711-1492م، المرجع السابق، ص 172

(3) سورة الأنفال الآية 39

(4) ابن عذاري ، البيان المغرب، المصدر السابق، ج3،ص90.

*الأنانية وحب الذات والمصالح الخاصة على حساب الرعية:

إن ما اتسم به عصر ملوك الطوائف، انتشار الأنانية المفرطة، وحب الذات، ولا سيما عند كبار القوم، فكان همهم السعي لتحقيق مصالحهم وإشباع رغباتهم، وتثبيت أقدامهم في السلطة على حساب المسلمين ومصلحتهم[1]، فلم يتعاونوا على البر والتقوى، أو يسعوا لمصلحة إسلامية، بل اهتموا بشهواتهم الخاصة[2].

وأكد ذلك ابن حزم بقوله: « والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى، فيمكنوهم من حرم المسلمين، وأبنائهم، ورجالهم، يحملونهم أساري إلى بلادهم،...و ربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا فأخلوها من الإسلام، وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم، وسلط عليهم سيفا من سيوفه»[3].

وهناك بعض حكام ملوك الطوائف دفع أموال طائلة لحكام النصارى مقابل الحماية، مثل القادر ابن ذي النون، الذي حكم بلنسية بعد أن طرده النصارى من طليطلة سنة 478هـ، فأعلن خضوعه وموالاته للنصارى، مقابل مبلغ قدر بـ مائة ألف مثقال في كل عام.[4]

وهكذا تحولت أنانية ومصلحة حكام ملوك الطوائف إلى نقطة ضعف في صفوف المسلمين، وأصبحوا خاضعين لدفع الضرائب والإتاوات للنصارى من أجل حماية عروشهم.

(1) الحجي عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي، المرجع السابق، ص332.
(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ج2، ص244.
(3) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي 384-456هـ، المصدر السابق، ص176.
(4) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص100، وينظر أيضا: عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، المرجع السابق ،ص271.

ومما لا شك فيه أن ذلك الواقع هو الذي جعل ملوك الطوائف يشعرون بأن أي دعوة إلى الإصلاح أو الجهاد، إنما هي تهديد واضح لسلطانهم. فالشاعر والأديب "أبو حفص عمر بن حسن الهوزني[1] " كان من العلماء الذين حرضوا الحكام على الجهاد لدفع الخطر النصراني المتزايد، وأنه لا خلاص لمسلمي الأندلس من ذلك الواقع المظلم إلا بالرجوع إلى ميدان الجهاد[2].

* الجبن والخور، والخوف الذي أصاب الكثير من حكام ملوك الطوائف:

وصف ابن عذراي حال مسلمي الأندلس في عصر ملوك الطوائف بقوله: « وصب الله تعالى على أهل الثغور من الجبن عن العدو، ما لا كفء له فلا يكاد أحد منهم يلقى نصرانيا في قرار من الأرض إلا ويوليه الدبر غير مستحيي من الله سبحانه، من الفرار أمامه، حتى تعود أعداء الله ذلك منهم فلا يعدون حبلهم شيئا...»[3]، والمتتبع للتاريخ الحربي لدول الطوائف، يجد كثرة الحروب والمعارك، إلا أنها لم تكن في صالح المسلمين، كما أنها لم تكن موجهة ضد أعدائهم، فحين ينادي على الجهاد، يصيبهم الجبن والخور، كأن الأمر لا يعنيهم، ويقول ابن العسال في شعره:

مَاتَتْ قُلُوبُ المُسْلمِينَ بِرُعْبِهم * فَحُمَاتُنَا فِي حَربِهم جُبَنَـاءُ**[4]

---

(1) **الهوزني** : هو أبو حفص عمر بن حسن الهوزني ولد سنة 392هـ/1001م، من علماء الأندلس ومحدثيها، عاش في اشبيلية، رحل للمشرق سنة 440هـ بين مصر ومكة لطلب العلم، رجع للأندلس وسكن مرسية، ودافع عن مسلمي الأندلس بقلمه، قتله المعتضد بن عباد بعد الرسالة التي تلقاه منه سنة 460هـ.(ينظر، السامرائي أسامة عبد الحميد حسين ، تاريخ الوزارة في الأندلس(138- 897هـ/755-1492م)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص102.).

(2) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، ج1، ص83-86.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق، ج3،ص280.

(4) الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت ، طبعة 1975م، ط2، 1984م، ص 90.

نستشف من هذه الحال الذي آل إليه مسلمو الأندلس، جعل واقعهم ضعيفا، ونفوسهم منحطة أمام انتصارات النصارى بسبب وقوف بعض إمارات الطوائف مع النصارى ضد إمارات أخرى، وأصبحوا جبناء لا همة لهم و لا عزيمة في صد العدوان الصليبي على أراضيهم.

4-انتشار العصبية القبلية بين مسلمي الأندلس:

الإسلام وحد المسلمين وأدخلهم في بوتقته، تحت شعار **قوله تعالى:**﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ **الحجرات الآية 13**، فكانوا لا يتعصبون لفارق جنس أو لون، بل كان معيارهم في المفاضلة بين الناس هو المعيار الإسلامي، وهو التقوى والعمل الصالح، لهذا انضووا جميعا تحت راية واحدة، لتحقيق هدف مشترك.

ظهور العصبية بالأندلس تعود لعصر الولاة، ففي خلافة عمر بن عبد العزيز (101-99هـ)، بدأت روح العصبية القبلية تظهر، وأصبحت أكثر وضوحا في ولاية الهيثم بن عبيد الله الكناني (111هـ)، الذي آثر قومه ضد اليمنيين، وهكذا انتشرت العصبية القبلية في الأندلس، و في عهد المنصور ابن أبي عامر (392-366هـ)، قرب البربر إليه، وأبعد العنصر العربي من الجهاد، وجعلهم رعية كباقي الناس[1]، وقد عوض المنصور العرب بجند البربر والمماليك والعبيد[2].

(1) الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469- 483هـ)، المسماة بكتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، 1955، ص16.

(2) المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق،ج1، ص398.

ومما سبق ذكره، فالمنصور كون جنوده من قبائل مختلفة، حتى يحمي سلطانه، فلو همت إحدى الطوائف أو الفرق بالخروج على طاعته، يستعمل الطوائف الأخرى في القضاء عليها [1].

هكذا كانت بداية ذلك التحول الخطير بين أجناس المجتمع الإسلامي بالأندلس، وهذه العصبية من أخلاق الجاهلية، وقد حمل المؤرخون المهدي الأموي مسؤولية هذا العمل المشين، وقال فيه ابن حيان: « مفرق الجماعة بقرطبة، ومبتعث تلك الفتنة المبيرة»[2]، ووصفه ابن الأبار بقوله: « باعث الفتنة بالأندلس، وموقد نارها الخامدة، وشاهر سيفها المغمد...، وأول من أورث نارها»[3].

هكذا تطور الخلاف بين المسلمين بسبب النزعات العصبية الجاهلية التي انتهجها المهدي ضد البربر، وهذا ما أدخل المسلمين في حرب أهلية. استغل النصارى هذه الفتنة، وبدأ ملك قشتالة "سانشو غرسيه" يثأر للنصارى، ويستعيد المعاقل والحصون[4].

ومما سبق يتبين لنا أن النعرة العصبية القبلية انتشرت بين مسلمي الأندلس، مما ترتب عنها أثار نفسية وسياسية وعسكرية واجتماعية خطيرة، أغرقتهم في أوحال الحروب الأهلية، وأدت إلى ضعفهم وتمكن العدو النصراني منهم.

5-تدخل النصارى في شحن الصراع بين المسلمين:

فقد سجل ألفونسو العاشر فصلا كاملا عن تدخل ألفونسو السادس ملك قشتالة في الصراع

(1) المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المصدر نفسه، ج1، ص398.

(2) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، ج1، ص27.

(3) ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص5، 30.

(4) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، المرجع السابق، ص264.

بين حكام طليطلة وقرطبة في عصر ملوك الطوائف[1]، وقد أدرك هذا الأمر الشاعر الأندلسي" ابن العسال"[2]، الذي نظم قصيدة يحذر المسلمين فيقول:

يَا أَهلَ الأَندلُسْ حُثوا مُطِيكُمْ * فـمَا الـمَقَامُ بِها إلاَ مِــنَ الَغلطِ**
الثُوبُ يَنْسَلُ مِن أطْرافِه وأَرَى * ثَوبِ الجَزيرةِ مَنْسُولاً من الوَسَـطِ**
ونَحنُ بينَ عَــدُو لا يُفَارقُنا * كَيفَ الحَياةُ مَعَ الحَيَاتِ فِي سَفطٍ؟**[3]

يبدوا لنا أن ابن العسال يحذر المسلمين من موالتهم للنصارى، ويبين الخطر القادم منهم. ولعل من أوضح صور الموالاة والخضوع للنصارى، موالاة المقتدر بالله ابن هود للقائد النصراني" ردري جودي بيبار" المعروف بـ (القمبيطور)[4]، حيث يعتبر المقتدر أول من نهج هذا النهج من زعماء الطوائف[5].

كان ولاء المسلمين للنصارى والتنازلات التي قدموها لهم، من العوامل التي جعلت النصارى يشعرون بعدم قدرة المسلمين على تسير إدارة بلادهم.

---

(1) للإحاطة بتاريخ عصر ملوك الطوائف، وأهم الدويلات والإمارات التي قامت فيه، وحكامها. ينظر: طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، الباب الثالث: دويلات الطوائف وملوك المغرب، مطابع المجموعة الدولية –الكويت ، 1426هـ/2005م، ط1، ص 245–379

(2) **ابن العسال:** هو أبو محمد عبد الله بن فرج بن العسال الطليطلي، زاهد طليطلة المشهور، فصيح اللسان، متفننا في شعره، حافظا للحديث، وله قصائد يبين فيها ضعف المسلمين، ويحثهم على الوحدة والجهاد، توفي سنة 487هـ، ينظر : ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج2، ص21.

(3) نفس المصدر، ج2، ص21، وينظر أيضا: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص 352.

(4) **القمبيطور** : يعرف بالكمبيطور أو القمبياطوار في بعض المصادر الإسلامية، هو فارس قشتالي يدعى "ردري جودي بيبار"، خدم ألفونسو السادس في حروبه ضد المسلمين، ثم أبعده الفونسو عن بلاطه ، كان ذا روح صلبية عالية، توفي سنة 1099م. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ج2، ص204، وأيضا ينظر: محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، المرجع السابق، ص281.

(5) عنان محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417هـ/1997م، ط4، ص281.

وقد صور هذا الواقع الشاعر "**ابن عبد الجبار**"[1] **بقوله:**

فـَهـُم أَحْمَى لِحَوزَتِنَـا وأَولى * بِنـَـا وهـُمْ المـَوالي والعـَشِيرُ**
لَقـد ذَهبَ اليَقـينُ فَلا يـَقـَينَ * وَغَـــرَ القَـومُ بِـــالله الـغُرور**
رَضـوا بالرقِ يا لله ! مَـــاذَا * رآه ومَـــا أَشـار بـــه مشيـــر**
مَضَى الإسلاَمُ فابكِ دِما عليهِ * فَمَا يَنفِي الجَوى الدَمعُ الـغَزيِّر**
ولاَ تَجنَح إِلى سِلمِ وحـَــاربْ * عَسَى أَن يُجبر الَعظمُ الكَسيُّر[2].**

وقد انتقد أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني [3](ت 450هـ) استعانة بعض ملوك الطوائف بأعداء أمتهم[4]، لمحاربة بعضهم بعضا، فحذرهم من النتائج الخطيرة المترتبة على ذلك، سواء ما كان منها قريب الأثر، أم بعيد ، فبعث برسالة ديوانية عن أميره إلى صاحبي شاطبة[5]، يقول فيها: « فقد بلغني أن مذهبكم الاستجاشة بالنصارى إلى بلاد المسلمين، يطؤون ديارهم، ويعفون آثارهم، ويجتاحون أموالهم، ويسفكون دماءهم، ويستعبدون أبناءهم، ويستخدمون نساءهم، وإن نفذ هذا – وأعوذ بالله– فهي حال مؤذنة بالذهاب، وجزيرة تؤذن بالخراب»[6].

---

(1) **ابن عبد الجبار**: يعد أبو طالب ابن عبد الجبار من شعراء عصر ملوك الطوائف، وأدبائهم، ولم يلتزم بأخلاق الإسلام. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق1، مج2، ص 916-917.

(2) المقري، نفح الطيب، ج4، المصدر السابق، ص485.

(3) **البزلياني**: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني (ت450هـ)، عمل في بلاد حبوس حاكم غرناطة، ثم عند المعتضد حاكم إشبيلية، ويعد أحد شيوخ الكتاب، وقيل أن له دورا في ثورة إسماعيل بن المعتضد على أبيه، مما أدى إلى قتلهما، ينظر ترجمته: ابن بسام ، **الذخيرة**، المصدر السابق، ق1، مج2 ،ص624. و ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ص444.

(4) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ص 640 -672.

(5) صاحبي شاطبه هما مظفر ومبارك العامريان، حكما شاطبة وبلنسية، ابن عذاري، البيان المغرب،ج3، المصدر السابق، ص158 -159.

(6) ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق1، مج2، 639.

وقد ترتب عن تدخل النصارى في شؤون الأندلس كسر كل الحواجز التي كانت تفصل بين المسلمين والنصارى، فولاء ملوك الطوائف للنصارى جعلهم يتشبهون بهم في زيهم، وعادتهم والاحتفال بأعيادهم الدينية...، وهذا بلا شك مما أظل المسلمين.

المبحث الثاني: الخطاب التحريضي في عصر ملوك الطوائف

اتسمت العلاقة بين دول ملوك الطوائف بالعداء الشديد والصراع المستمر، والذي نتج عنه إنهاك قوة المسلمين في الأندلس.[1] في الوقت نفسه كانت القوى النصرانية في الشمال تتوحد تحت قيادة واحدة[2]، مستغلين انشغال المسلمين في حروبهم الداخلية، فتوسعت الممالك النصرانية على حساب الدويلات الإسلامية بالأندلس[3].

وفي خضم هذه الأحداث سقطت مدينة **بربشتر**[4] في يد النصارى سنة456هـ ،بعد حصار دام أربعين يوما، ولم يقدم أحد من ملوك الطوائف على مساعدة أهلها، وارتكب النصارى فيها مجازر فظيعة[5].

استمر ملوك الطوائف في تخاذلهم إلى حد إرسال الجزية لألفونسو خلال حصاره لطليطلة[6].

---

(1) عودات أحمد، تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري، مكتبة الدراسات الاجتماعية، دار الأمل للنشر والتوزيع ، 1989م، ط1، ص37.

(2) توحدت الدويلات النصرانية على يد الملك سانشو، وخلفه ولده فرديناند الذي وجه اهتمامه إلى السيطرة على المناطق الإسلامية، وبعد وفاته (463هـ،/1065م)، انقسمت الدولة بين أبنائه، لكن ألفونسو السادس وحدها من جديد، وتقرب من البابوية في روما لدعم حروبه ضد المسلمين، ينظر: أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي القاهرة،1417 هـ/1996م، ط2، ج1، ص11 –29.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ، المصدر السابق،ج3، ص281.

(4) بربشتر: مدينة أندلسية محصنة، تقع شمال الأندلس، على نهر إبرة، ينظر: الحميري (محمد بن عبد الله عبد المنعم، ت بعد 727هـ/1326م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت، ص41.

(5) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق3، مج1، ص181.

(6) أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، المرجع السابق، ج1، ص60.

وبعد سقوط طليطلة في يد النصارى، بدأ العلماء في مناشدة حكام الطوائف إلى توحيد الصف وإعلان الجهاد[1]، كان للخطاب الجهادي أثرا كبيرا في دفع العدو وتحريك حمية المسلمين، وسقط بعض العلماء شهداء في سبيل حماية الأندلس[2]

*أثر وقوع مدينة بربشتر في الخطابات التحريضية للجهاد لفقهاء وعلماء الأندلس:

وكان لسقوط مدينة بربشتر 456هـ، والمأساة االتي تعرض لها أهلها أيام يوسف المظفر، أثر على نفوس العلماء والخطباء فاستغلوا هذه المأساة لتحريك وجدان وحمية المسلمين، ونذكر منهم: المحدث الأديب أبو حفص عمر بن الهوزني[3]، الذي كتب رسالة إلى أبي عمرو المعتضد بن عباد [4]، يحثه فيها على الجهاد، وقتل بسببها من طرف المعتضد[5].

فالفقيه الهوزني اختار أهم ، وأقوى الإمارات في عهد الطوائف، والمتمثلة في إمارة بني عباد باشبيلية، وأرسل لحاكمها المعتضد بن عباد يحرضه على جهاد النصارى، حيث قال:

أَعَبادُ ضَاقَ الذرعُ واتَسَعَ الخُرق * ولاَ غَربَ للدُّنيَا إذا لَم يَكُن شَرقَ**

ودُونكَ قَولاً طَـالَ وهُـو مـُقَصِر * فَللعَــينِ مَعـنَا لاَ يُعِيـرهُ النُطْـقُ**

(1) أشباخ يوسف، المرجع نفسه، ج1، ص74.

(2) بن بيه محمد محمود عبد الله، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ودار ابن حزم، بيروت، 2000م، ط1، ص291،292.

(3) **الهوزني:**هو أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن الهوزني(ت 460هـ =1068م)، فقيه وأديب أندلسي، رحل إلى المشرق العربي، وأخذ عن علمائه، ثم رجع إلى مرسية، وأصبح له مكانة في اشبيلية ، وقتله المعتمد بعدما حضه على الجهاد.ينظر: ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق2، مج1، ص81.

(4)**المعتضد بن عباد:** هو عباد بن عباد أمير حاكم إشبيلية (433-461هـ=1041-1070م) ، من أقوى حكام الطوائف وأشدهم بطشا، قتل أحد أولاده، وسع ملكه على حساب جيرانيه، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المصدر السابق، مج5، ص23.

(5)ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، مج2، ص82.

إليكَ انتهتْ آمالنَا فَارمِ مَا دَهَى * بعِزمِكَ يَدفعُ هَامةَ البَاطِلِ الحَقِ[1].**

وسعى الفقيه الهوزني في تحريك نخوة المعتضد، وتقوية عزيمته للجهاد، ويصور له عظم المأساة التي اقترفها النصارى في حق مسلمي بربشتر، بعد تخاذل حكام الطوائف في نجدتهم، فيقول: « وما زلت أعتدك لمثل هذه الجولة وزرا، الدلائل أوضحت فيك الغيث، وشواهد رفعت من أمرك الريب، فالنهار من الصباح، والنور من المصباح، ولئن كان ليل الفساد مما دهم قد أغدق جلبابه، وصباح الصلاح بما ألم قد أهابه،...نفضلكم في الأعناق أطواق، مجدكم للآفاق إشراق، وحيثما حللت الأرض عراق، فأنا أول من هو إلى تلك الحضرة مشتاق، فلا تحرمني وصلا كنت جاهدا في إنياطه ولا تصدني»[2].

كما استنكر على المسلمين وعلى كثير من الفقهاء تخاذلهم عن النفير، وكأنهم لم يسمعوا بآيات القرآن الكريم التي تدعو إلى الجهاد،و يتهمهم بضعف الإيمان، والخوف والجبن عن مواجهة الأعداء بقوله: «... كأن الجميع في رقدة أهل الكهف، أو على وعد صادق من الصرف والكشف وأنى لمثلها بالدفاع عن الحريم، ولما نتمثل أدب العزيز الحكيم...[3]».

ويبدو أن هذه الدعوة لم تؤثر في المعتضد، ووجد فيها نوعاً من التوريط العسكري والسياسي، فإذا حارب وفشل كسرت شوكته لدى حكام الطوائف، وإذا لم يحارب كشف عن تقاعسه في الدفاع عن الوجود الإسلامي في الأندلس[4].

---

(1) المصدر نفسه، ق2، مج1، ص85، وأيضا : النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب توفي سنة 733هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: علي بوملحم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت،1424هـ/ 2004م، ط1، ج6، ص166.

(2) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، ج3، ص93، 94.

(3) ابن بسام، الذخيرة، المصدر نفسه، ق2، ج3، ص85.

(4) عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص180.

وإذا كانت هذه الدعوة لم تأثر في المعتضد بن عباد ، فقد حفزت المقتدر بالله أحمد بن هود[1]، ولبى الدعوة كثير من المتطوعين جهاداً في سبيل الله تعالى، ودفاعا عن الأندلس، فحاصر المسلمون مدينة بربشتر، وبعد معركة حاسمة استردها المسلمون في جمادي الأولى سنة 457هـ[2]، ويبدو لنا أن الخطاب الجهادي كان المحرك الرئيس لدفع المسلمين وانتصارهم في المعركة. ومن العلماء الذين استنهضوا همة المعتضد للجهاد، ابن عمار(ت: 479هـ = 1086م)[3]، الذي كان وزيرا لابن عباد، وقام بدور سياسي في المفاوضات التي جرت بين المعتمد بن عباد [4] وألفونس السادس النصراني [5].

وقد حضه في أبيات شعرية على الجهاد بقوله:

عَبادٌ المخضر نَائِـلِ كَفـُّهُ * والجُّو قَد لَبِسَ الرِدَاءَ الأَغْبْرا[6]**

قَداحٌ زِندٌ المَجدِ لاَ يُنـفكُّ مِن * نـَار الوَغَـى إِلا إلى نَـار القُرى**

يَختَارٌ أن يَهُبَ الخَرِيَدةَ كَاعِبًا * والطَرفُ أَجْـردُ والحُسَامُ مٌـجَوهَرا**

---

(1) هو محمد بن المقتدر أحمد بن سليمان بن هود (ت 478هـ =1086م)، بعد وفاة أبيه انتقل له حكم سرقسطة سنة 475هـ، ينظر : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص172.

(2) ابن عذاري ، البيان المغرب ، المصدر السابق، ج3، ص 227.

(3) **ابن عمار** : هو الوزير أبو بكر محمد بن عمار، من مدينة شلب، أخذ الأدب من علمائها، ثم رحل إلى قرطبة ودرس بها، فهو شاعر ورجل أندلسي، أطلق عليه" متنبي المغرب"، سجنه المعتمد بن عباد إلى أن قتله. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ، المصدر السابق، ج4، ص425. وأيضا: الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان توفي 748هـ=1374م)، سير أعلام النبلاء ، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ /1996م ، ط11، ج18، ص583.

(4) **المعتمد بن عباد** : هو محمد بن عباد اللخمي (ت 488هـ=1095م)، يكنى" أبا القاسم"، شاعر وأديب، حكم إشبيلية بعد والده المعتضد، ضم قرطبة إلى نفوذه من بني جهور، دفع الجزية للنصارى، ثم استنجد بيوسف بن تاشفين، شارك في معركة الزلاقة، ثم تحالف مع النصارى من جديد ضد المرابطين، فخلع من الحكم ونفي لأغمات ببلاد المغرب. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء ، المصدر السابق، ج2، ص52.

(5) المراكشي، المعجب ، المصدر السابق، ج1، ص119.

(6) الأغبر، لون يتشكل بسبب الغبار، والأغبر الذئب للونه (ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، المصدر السابق، ج5، ص5.)

السَيفُ أَصْدقُ مِنْ زِيادٍ خُطبةٍ * فِي الحَربِ إِنْ كَانَت يَمِينُكَ منبرًا [1]**

كتب أبو محمد عبد الله بن أبي عمر بن عبد البر(ت 458هـ) [2]، خطبة على لسان أهل بربشتر جاء فيها: « ...فإنا خاطبناكم مستنفرين وكاتبناكم مستغيثين، وأجفاننا قرحى، وأكبادنا حرى، ونفوسنا منطبقة، وقلوبنا محترقة، على حين نشر الكفر جناحيه، وأبدى الشراك ناجذيه»[3].ابن عبد البر يصف حال مسلمي بربشتر، والمأساة التي تعرضوا لها من قبل النصارى، فهو يستغيث بالحكام لإنقاذها. وتتضمن خطاب جهادي قوي ليستنهض حمية المسلمين.

وفي رسالة أخرى لابن عبد البر خطب بلسان أهل بربشتر بعد سقوطها في يد الإسبان، يصف فيها حالة المدينة، ويحرض فيها على الجهاد، وجاء فيه: « الحذر الحذر! فإنه رأس النظر من بركان تطاير منه شرر ملهب وطوفان تساقط منه قطر مرهب، قلما يؤمن من هذا إحراق ومن ذلك إغراق، فتنبهوا، وقاتلوهم في أطرافهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهدوهم في ثغورهم قبل أن يجاهدوكم في دوركم ففينا متعظ لمن اتعظ، وعبرة لمن اعتبر».[4]

يبدو أن الخطيب يدرك خطورة سقوط مدينة بربشتر على الوجود الإسلامي بالجزيرة، وهو يدعو المسلمين إلى قتال النصارى وإخراجهم منها.

وجاء في خطبة أخرى لابن عبد البر لحضه العامة للجهاد، وتنبيههم بخطر النصارى فيقول: « وما ظنكم معشر المسلمين وقد رأيتم الجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن وحلاوة الآذان، مطبقة

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، مج2، ص382، وأيضا: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص655.

(2) هو محمد عبد الله بن الفقيه المشهور بأبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي، وقد علمه أبوه، فكان من شباب الأندلس المتعلمين في عصره، وله نزعة أدبية جعلت له مكانة في حلقات العلم، وظفه علي بن مجاهد رئيسا لديوانه وكاتبه، توفي سنة 463هـ، (ينظر:ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش، جامعة اليرموك، مكتبة المنار، 1409هـ -1989م، ط1، ص 538، 539.)

(3) ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق3، مج1، ص174.

(4) المصدر نفسه، ص178.

بالشرك والبهتان، مشحونة بالنواقيس والصلبان، عوضا من شيعة الرحمن، والأئمة والمتدينون والقوم والمؤذنون، يجرهم الأعرج كما تجر الذبائح إلى الذابح يكبون على وجوههم في المساجد صاغرين، ثم أضرمت النار عليهم حتى احترق الجميع...، والكفر يضحك والدين ينوح يبكي والعذاب ينكي، فيا ويلاه، ويا ذلاه، ويا كرباه، ويا قرآناه، ويا محمداه...»[1].

ابن عبد البر يعرض مأساة المدينة وما تعرضت له من جرائم بشعة في حق أهلها الذين أحرقوا داخل المساجد وهم أحياء، ويشير في هذه الخطبة استبدال الإيمان والأذان والقرآن بالشرك والصلبان، بهدف استثارة الحمية وتحريك المشاعر لإعلان الجهاد.

*تحريض الفقهاء لحكام الطوائف على الجهاد بالأندلس:

الفقهاء أكثر الناس حثا على الجهاد في خطاباتهم، نذكر منهم : محمد بن أحمد بن طاهر[2](507هـ) ، الذي واكب الحروب الصليبية في عصر الطوائف منذ بدايتها، وعاش مراحلها [3]، وساهم في الحض على الجهاد لإنقاذ الأندلس من الاعتداءات الصليبية[4]، فله رسالة يخاطب بها أحد حكام الطوائف، وقد افتتحها مباشرة بالتحريض على الجهاد، ثم يمدح مخاطبه ويثني على جهوده في الدفاع عن الديار الإسلامية، ووراء هذا الثناء والمديح، إثارة نخوته وتحريك نوازع الجهاد في نفسه، ومما قاله: « فبانت أصالتك وتفرد جدك [5]، وتجدد الحفاظ والإنقاذ لملة الإسلام بجهدك"[6]، وأشار إلى كل من يجب عليه الجهاد بقوله:" وقد تعين

(1) ابن بسام، الذخيرة ،المصدر نفسه، ص 177.

(2) **أحمد بن طاهر**: هو محمد بن أحمد اسحاق بن زيد بن طاهر القيسي، يكنى أبا عبد الرحمن، من أشهر شعراء وبلغاء الأندلس، وقع في الأسر حينما احتل القمبيطور بلنسية، وبعد فك أسره رحل إلى شاطبة وعاد لبلنسية بعد أن حررها المرابطون، توفي سنة (507هـ= 1113م). ينظر: ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق3،مج1، ص24، وأيضا: ابن الأبار، الحلة السيراء ، المصدر السابق، ج2، ص116، المقري، نفح الطيب ،المصدر السابق، ج1، ص657.

(3) ابن خاقان، قلائد العقيان ، المصدر السابق، ج1، ص75

(4) ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق3، مج1، ص 86.

(5) الجد: العظمة والغنى. أنظر: الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح بيروت، 1986م، ج1، ص40.

(6) ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق3، مج1، ص87.

البدار [1] على كل رئيس ومرؤوس، ولزم الجهاد كل شريف ومشروف، وقبيح على المسلم أن يحل إزارا، ...وإخوته المسلمون بين مشدود بالإسار، تالله ما في النصفة أن تسكن الظلال، وأطوق حملة القرآن في الأغلال»[2].

وعندما تعرضت قلعة أيوب [3] للاعتداء النصارى، بعث محمد بن طاهر بخطبة للمعتصم بالله حاكم المرية، يحفزه على الدفاع عنها، ومما جاء فيها :«...فليندب الإسلام نادب، وليبك عليه شاهد وغائب، فقد طفئ مصباحه، ووطئ ساحه.»[4]

ووجه الفقيه ابن عبد البر خطبة لحكام الطوائف، داعيا إياهم إلى النفير والجهاد بقوله: " وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب، يضيق عن نصها الخطاب، ترغيبا وترهيبا، فوعد المطيعين جزيل ثوابه، والعاصين أليم عقابه، والرواية عنه عليه السلام في فضل الجهاد، وما يجازي فيه رب العباد، أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، فالله في إجابة داعينا، وتلبية منادينا،..."[5].

في هذه الخطبة دعوة صريحة للجهاد، حيث يستشهد الخطيب بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن فضل الجهاد ومقاتلة الأعداء لحماية أعراض وعقيدة وأموال المسلمين في الأندلس.

---

(1) **البدار**: السرعة والعجلة من تبادر القوم، وهي الإسراع لحمل السلاح. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج4، ص48.

(2) ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق3،مج1، ص88.

(3) **قلعة أيوب**: هذه القلعة بناها المسلمون، وتقع في الجنوب الشرقي من سرقسطة، وكانت تعرف بـ"لبة"، وأعاد بناءها والي الأندلس التابعي "أيوب بن حبيب اللخمي، واشتهرت بصناعة الفخار المذهب. ينظر: الحميري ، الروض المعطار، المصدر السابق، ص163.

(4) ابن خاقان، قلائد العقيان ، المصدر السابق، ج1، ص 174.

(5) ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ق3، مج1، ص178.

*نماذج لخطب حكام الطوائف لتثبيت روح الجهاد لمسلمي الأندلس :

ومن الخطب الجهادية التي تدعو لقتال الأعداء والتوكل على الله، رسالة المتوكل بن الأفطس[1]، ردا على رسالة ألفونسو، يخبره فيها باستعداد جيوش المسلمين للدفاع عن دينهم وملكهم بالأندلس يقول فيها: « ... أما نحن، وإن قلت أعدادنا، وعدم من المخلوقين استمدادنا، فما بيننا وبينك بحر تخوضه، ولا صعب تروضه، إلا سيوفا يشهد بحدِتها رقاب قومك، وجلاد تبصره في يومك، وبالله تعالى وملائكته نتقوى عليك ، ليس لنا سوى الله مطلب، وليس لنا إلى غيره مهرب، وما تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، نصر عليكم، فيا لها من نعمة ومنة، أو شهادة في سبيل الله فيا لها من جنة».[2]

وله خطبة أيضا للحض على الجهاد، قائلا: ((ولو كان شملنا منتظما وشعبنا ملتئما، وكنا كالجوارح في الجسد اشتباكا، والأنامل في اليد اشتراكا، ما طاش لنا سهم، ولا سقط لنا نجم، ولا ذل لنا حزب،...ولكنا عليهم ظاهرين، إلى يوم الدين...))[3].

*دور الأدباء والشعراء في استنهاض روح الجهاد لحكام الطوائف:

كما نجد بعض الشعراء الأندلسيين هنؤوا حكام الطوائف بعد انتصاراتهم على النصارى، لتحفيزهم على مواصلة الجهاد، ومن ذلك قول ابن الحداد[4] (ت 480هـ)، مهنئا المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود حاكم سرقسطة، بعد انتصاره على الإسبان سنة 462هـ، حيث قال:

(1) **المتوكل بن الأفطس:** هو عمر بن محمد بن الأفطس، تولى حكم بطليوس بعد وفاة والده سنة (460هـ =1068م)، واستدعاه سكان طليطلة ليحكمها بعد انقلابهم على القادر بن ذي النون الذي تحالف مع النصارى ، وظل المتوكل يحكم بطليوس حتى سيطر عليها المرابطون، وقتل بعد خيانته واتصاله في الخفاء بالعدو سنة (488هـ =1094م).(ينظر: ابن سعيد، المغرب، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج1،ص364، وأيضا: ابن خلكان، وفيات الأعيان ، المصدر السابق، ج7، ص123. و الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، مج18، ص 594)

(2) نفسه، مج18، ص596.

(3) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق3، مج1، ص 173-178.

(4) ابن الحداد: هو أبو عبد الله محمد بن حداد القيسي (ت 480هـ)، من أهل وادي آش، سكن ألمرية ، وكانت أشعاره في بني صمادح، لكن بعد التحاقه ببني هود في سرقسطة أصبح شاعرهم. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق1، مج2، ص 691-729.

مَضَاوكَ مَضْمُوْنٌ له النَّصْرُ والفَتْحُ * وسَعْيُكَ مَقْرُوْنُ به الْيمْنُ والنُّجْـــحُ**
إذا كــان سَعْيُ المـرْءِ لله وَحْـــدَهُ * تَدَانَتْ أقاصِي ما نَحَاهُ وما يَنْحـــوُ**
بكَ أقْتَــدَحَ الإِســلامُ زَنْدَ انتــصارِهِ * وبِيـضُّكَ نــارٌ شُبِّهَا ذلك القــدْحُ**
وجَلَّى ظلامَ الكُــفْرِ مِنْـــكَ بِغُــرَّةٍ * هي الشَّمْسُ والهِنْدِيُّ يَقْدُمُهَا الصُّبْحُ[1]**

*استنهاض علماء الأندلس همم المتخاذلين عن الجهاد من أمراء الطوائف:

شهدت الأندلس سقوط طليطلة بيد النصارى سنة 478هـ. وكان لها أثرا كبيرا في نفوس العلماء، واندهشوا من خذلان أمراء الطوائف لأهلها[2]، فالمقري أورد قصيدة شعرية لأحد علماء الأندلس مجهول صاحبها، تحث على الجهاد، وجاء فيها:

لثكلك كيف تبتسم الثغــور؟ * ســروراً بعدما سُبيتْ ثغــورُ**
لقد قُصمتْ ظهور حين قالوا * أميــرُ الكـــافرينَ له ظهـورُ**
طليطلة أباح الكفر مـــنــها * حِمـــاهـــا إنّ ذا نـــبأ كبــيرُ**
مساجدها كنائس، أيُّ قـلب * علـــى هذا يَقَرَّ ولا يطـــيرُ**
فيا أسفاه، يا أسفاهُ حـــزناً * يكــرَّرُ ما تكررت الدهـــورُ**
وقيل تجمَّعوا الفراقِ شـــمل * طليـــطلة تملكها الكَـــفورُ**
ولا تجنحْ إلى سلم، وحـــارب * عسى أن يُجبر العظمُ الكسيرُ**
ونرجو أن يتيح الله نصـــراً * عــليهم، إنــه نــعمَ النصــيرُ[3].**

يبدو صاحب القصيدة في حالة نفسية محبطة من تخاذل حكام الطوائف وهو يدعوهم إلى الجهاد لتحرير طليطلة وبقية المدن الأندلسية.

(1) ابن الحداد، ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه وشرحه د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ط1، ص 178.

(2) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق3، مج1، ص 179.

(3) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق3، مج1، ص243.

ويذكر المقري في قصيدة أخرى لمجهول يستنهض الهمم، ويستفز المتقاعسين، ويبحث عن قائد غيور على الإسلام، وباسل لتحرير طليطلة من النصارى، فيقول:

ألـــيس بها أبي النفس شهم * يـــدير على الـدوائر إذ تـدور**
ألا رجـــل لـه رأي أصـــيـل * به مما نحـاذر نستجيـر يكر**
وطعن بالقنا[1] الخطار[2]حتى * يقول الرمح ما هذا الخطيـر؟**
يبـادر خرقهـــا قبل اتسـاع * لخطب منــه تنخسف البــدور**
ونـرجو أن يتيــح الله نصــرا * عليهـــم إنــه نعـم النصيــر[3]**

ومما سبق يتضح لنا أن الأدباء والخطباء عايشوا ألم سقوط المدن في يد النصارى، وفي نفس الوقت يدعون لأمل تحريرها واسترجاعها للديار الإسلامية.

(1) جمع قناة، وهي الرماح. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، المصدر السابق، ج15، ص203.
(2) ذا اهتزاز كبير وشديد. (المصدر نفسه، ج4،ص251).
(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص484.

المبحث الثالث: حض واستنجاد حكام الطوائف بالمرابطين للجهاد في الأندلس.

بعد استحواذ الممالك النصرانية لأراضي المسلمين بالأندلس، انتفض جمهور من العلماء والأدباء في حض إخوانهم في العدوة المغربية، على الجهاد بالأندلس.

و كان لعلماء الأندلس دورا كبيرا في نشر الوعي وإظهار طبيعة الصراع العقائدي، وحض المسلمين خارج الأندلس خاصة المرابطين في العدوة المغرب[1]، وتعد القصائد الشعرية والرسائل النثرية الوسيلة الأساسية في الخطاب الجهادي، ومن ذلك ما كتبه محمد بن أيمن [2] إلى يوسف بن تاشفين، لإثارة حماسته للثأر لمسلمي الأندلس من أعدائهم الصليبيين حين قال: « لما كان نور الهدى دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام أعز ناصر، وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تستدعى لما أعضل من الداء، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء»[3].

ومن خلالها يسعى محمد بن أيمن لإثارة روح الجهاد في نفسية يوسف بن تاشفين، وقال أيضا: « فيا لله، ويا للمسلمين...يغلب التوحيد الشرك، ويظهر على الإيمان الكفر، ولا يكتنف هذه الملة النصر؟ ألا ناصر لهذا الدين المهتضم [4]؟!، ولا حامي لما استبيح من حمى الحرم...، وإنها مؤذنة الجزيرة بالخلاء ومن فيها من المسلمين بالجلاء...، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالا، وتتداركوها ركبانا ورجالا، وتنفروا نحوها خفاقا وثقالا...وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أتلى، ولا أحرضكم على التسرع إليه بما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنكم إلى معرفته أهدى» [5].

---

(1) عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، طبعة دار الشروق عمان، 1997، ص 39.

(2) **محمد بن أيمن:** هو بن خالد بن أيمن الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، من سكان بطليوس، فقيه ومحدث، ورمز من رموز النثر والنظم الشعرية الأندلسية. أنظر: ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج1، ص366. وأيضا: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس ، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م ، ج1، ص323.

(3) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، مج2، ص 654.

(4) المهتضم يقصد به الدين المظلوم بالأندلس. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج12، ص 613.

(5) ابن سماك العاملي، (أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: د.عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص35.

وفي ظل التهديد بإنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس، توجهت خطب الفقهاء والعلماء لرص الصفوف والاستنجاد بالمرابطين، لمواجهة الخطر النصراني، في سنة 474هـ توجه وفد أندلسي شعبي إلى المغرب يطلب من ابن تاشفين إنقاذ الأندلس وحمايتها من تكالب النصارى بتقديم إمدادات عسكرية[1].

تذكر بعض المصادر أن المتوكل بن الأفطس [2] صاحب بطليوس أول من كتب إلى يوسف بن تاشفين، يطلب عونه، ويستعطفه لنصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس، وجاء فيها: « ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك، أعزك الله بالنازلة في مدينة قرمونة أو قورية[3]، أعادها الله للإسلام وأنها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ...».[4]

***رسالة المعتمد بن عباد ليوسف بن تاشفين للجهاد بالأندلس:**

يذكر أبي زرع بأن المعتمد بن عباد طلب من يوسف بن تاشفين الجواز للأندلس لجهاد النصارى سنة 467هـ.[5]، وهناك مصادر أخرى تؤكد أن المعتمد استنجد بابن تاشفين بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ[6]، بعد تزايد هجمات ألفونسو السادس على أراضي الأندلس منذ سنة 475هـ، توالت السفارات الرسمية لملوك الطوائف رحلتها إلى المغرب وطلب العون من المرابطين على الجهاد بالأندلس.[7]

---

(1) مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، 1399هـ/1979م، ط1، ص33.

(2) **المتوكل هو**: أبو حفص عمر، اهتم بالأدب والأدباء، له نظم في النثر والشعر، حكما مملكة بطليوس، بعد موت أخيه يحيى بن محمد الملقب بالمنصور سنة 464هـ، قتل مع ولديه الفضل والعباس سنة 487هـ وقيل 488هـ. (ينظر: ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، المصدر السابق، ج1، ص 364، وايضا : ابن خاقان ، قلائد العقيان ، المصدر السابق، ج1، ص 120-145.

(3) **CORIA**: من مدن الثغر الأدنى في غرب الأندلس، قال فيها الحميري: ((قريبة من ماردة، بينها وبين قنطرة السيف مرحلتان، لها سور منيع، واسعة الفناء، من أحسن المعاقل، ...)) ينظر:ابن خاقان، قلائد العقيان، المصدر نفسه، ص35.

(4) المصدر نفسه، ص33 -35.

(5) ابن أبي زرع (أبي الحسن على بن عبد الله) ، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وترجمة كارل يوحن تورنبرغ، دار الطبع مدينة أو بسالة، 1823،ص 142.

(6) المصدر نفسه، ص143.

(7) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، مج2، ص653.

إجتمع كل من وزير المعتمد بن عباد بن زيدون[1] بقاضي بطليوس[2] أبو إسحاق بن مقانا [3]، وبقاضي غرناطة القليعي [4]، وقاضي اشبيلية أبو بكر بن أدهم[5]، وتوجهوا لحض ابن تاشفين للجواز للأندلس لمحاربة النصارى وفي هذا المجال تعددت خطب الحض على الجهاد والاستنجاد بالمرابطين نذكر منها: خطبة أبو بكر بن الجد [6] جاء فيها: « وقد وطد الله لك ملكا شكر عليه جهادك، وقيامك بحقه واجتهادك، وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته، ويحضر الحرب بآلاته، فإن شئت الدنيا، فقطوف دانيه، وجنات عالية، وعيون آنية، وإن أردت الآخرة فجهاد لا يفتر، جلاء يحز الغلاصم ويبتر، وهذه الجنة أوفرها الله لظلال سيوفكم»[7].

---

(1) **بن زيدون** :هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون (ت 463هـ=1071م)، يكنى "بأبي الوليد"، نبغ في الأدب وهو صغير العمر، اشتغل بالسياسة كوزير في عهد بني جهور بقرطبة، تم سجن وفر بعدها لاشبيلية واتصل بالمعتمد الذي قربه إليه. (ينظر: المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ج1، ص 82.وأيضا: ابن سعيد، المغرب، المصدر السابق، ج1، ص350.

(2) **بطليوس:** مدينة كبيرة في الأندلس من أعمال ماردة، على نهر آنة غربي قرطبة، وكانت فيما بعد حاضرة لدولة بني الأفطس، لغاية سيطرة المرابطين عليها. ينظر، ياقوت الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ=1977م، مج 1، ص447.

(3) هو أبو إسحاق مقانا قاضي بطليوس في عهد المتوكل عمر بن محمد، من أحد أعضاء السفارة التي بعثت ليوسف ابن تاشفين. أنظر: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص359.

(4) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن القليعي يكنى أبو بكر قاضي غرناطة، في عهد عبد الله بن حبوس الصنهاجي. (ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء ، المصدر السابق، ج2، ص 99.)

(5) هو أبو بكر عبيد الله بن أدهم قاضي الجماعة بقرطبة، قاضي لابن عباد، أرسله مع الوفد إلى يوسف بن تاشفين. (ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب ، المصدر السابق، ج3، ص250. وأيضا: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص359.)

(6) هو الحافظ محمد بن عبد الله بن يحيي بن فرج بن الجد الفهري (ت 586هـ =1190م)، يلقب أبا بكر، سكن اشبيلية، فقيه وأديب وذو فصاحة، اشتهر بتدريس علم الحديث، قال عنه ابن الأبار:" حافظ المغرب والأندلس وله مكانة كبيرة عند حكام عصره..."(ينظر: ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص64 وابن سعيد، المغرب ، المصدر السابق، ج1، ص341.)

(7) ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، المصدر السابق،ص47.

* نماذج لخطب جهادية لحكام المغرب الإسلامي من خارج وداخل أرض الأندلس:

لم يقتصر دور الخطاب الجهادي على علماء الأندلس، قام مجموعة من العلماء بتحريض الحكام المسلمين بالمغرب على الجهاد في الأندلس ضد النصارى، ومن هؤلاء الإمام أبو بكر الطرطوشي[1] الذي بعث برسالة إلى يوسف بن تاشفين ، جاء فيها: « فجهاد الكفار فرض عليك، فيما يليك من ثغور بلاد الأندلس، لأنك أقرب الملوك إليها، وعندك الكراع [2] والسلاح ولأمة [3] الحرب وآلتها، وجيوش المسلمين، وحماة البيضة، طائعين لك، ...» [4].

وحث الطرطوشي الأمير يوسف بن تاشفين على أن يتبع نهج المجاهدين الأوائل الفاتحين لبلاد الأندلس، وحمله الأمانة الملقاة على عاتقه.

ونذكر خطبة ابن عباد الشهيرة إلى ابن تاشفين، يستنجد به، ويحرضه على الجهاد بالأندلس، وتحفيزه للقتال قبل معركة الزلاقة [5] فيقوله:

غزوك عليك مبارك * في طيه الفتح القريب**

لله سيفك إنـــــه * سخط على دين الصليب**

لابد من يوم يكون * له أخ يوم القـــليب [6].**

---

(1) **الطرطوشي:** هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان ابن أيوب القرشي الفهري ، المكنى بابن أبي رندقة، ولد سنة 450هـ أو 451هـ بمدينة طرطرشة، فقيه وعالم، انتقل لسرقسطة وتعلم من علمائها كالقاضي أبي الوليد الباجي، توفي سنة 520هـ/1126م.(ينظر: الشيال جمال الدين، الطرطوشي أبو بكر العالم، سلسلة أعلام العرب، الزاهد الثائر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م، غ.م ، د.ت، ص6، 7.)

(2) الكراع: بضم الكاف، هو اسم يجمع الخيل والسلاح.(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج8، ص306.)

(3) **لأمة:** الدرع وقيل الحرب أدتها، وهي الدرع التي تلازم الجندي جسديا.(المصدر نفسه، ج12، ص532.)

(4) الشيال جمال الدين، الطرطوشي أبو بكر العالم، سلسلة أعلام العرب، الزاهد الثائر، المرجع السابق، ص 121.

(5) **الزلاقة:** هي موضع منبسط تتخلله بعض النبتات كالأحراش، في ناحية سرقسطة، وكان يعرف "بالسهلة"، وأطلق عليه الاسبان اسم " ساكر الياس"، ويقع هذا السهل في الشمال الشرقي من بطليوس، على مقربة من حدود البرتغال حاليا ، وفيها كانت الوقيعة الشهيرة للمسلمين سنة 479هـ. (أنظر: محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، المرجع السابق، ص219.)

(6) ابن الخطيب، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص40.

وقد وصف أبو بكر بن العطار اليابسي [1] جواز المعتمد للعدوة المغربية قبل معركة الزلاقة، وعودته للأندلس مع جيش المرابطين يقول:

فالأرضُ تقلقُ من جيشٍ قفلتَ به * والجوُّ يعثرُ فيه من قنـًا وطـــــبا**

جـيش إذا مـا قتـامُ النـقعِ جَلَلهُ * كانت سيوفُكَ نارا والعدا حطـــــــبا**

مــن كـلّ ملثمٍ والبيضُ ســـافرةٌ * والشمس قد كسيت من قسَطلٍ حجبا [2].**

***دور قضاة وفقهاء الأندلس في تحريض حكام المرابطين للجهاد بالأندلس:**

من الرسائـل التـي تستنجـد بـأمير المرابطين رسالة أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، وحثه على الجهاد من خــلال خطبة بعثـها قاضي سرقسطة، حينـما داهـم النصارى مدينته، وقال فيها: « ...فالآن أيها الأمير الأجـل، هذه أبـواب الجـنة قد فتحت، وأعلام الفتح قد طلــعت ، فالمــنية ولا الدنية !، والنار ولا العار، فأين النـفوس الأبـية؟ وأين الأنفة والحمية؟ وأين الهمم المرابطية، ... فإن حزب الله هم الغالبون».[3]

---

(1) **بن العطار اليابسي** :هو: أبو بكر محمد ، نسبة إلى منطقة في شرق الجزائر ، عاش فيها، من شعراء الذخيرة، عاش في مدة الطوائف، وأحسن شعره بقوله: **والجيش قد جعلت أبطاله مرحا *** تختال عن خيلاء السبق العتق.**(ينظر: ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج2، ص470.وأيضا: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ج11، ص242.)

(2) ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق4، مج1، ص 377، 378.

(3) حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلس في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ/1992م، ص47.

وفي خطبة أخرى لقاضي سرقسطة لحض الأمير أبي الطاهر على الجهاد يقول فيها: « ...وقد ضمن الله تعالى لمن يـجاهد في سبـيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره، فما هذا أيـها الأمـير؟! ألا ترغب في رضوانه؟ و اشتراء جنانه بمقارعة شيطانه، والدفاع عن أصـل إيمانه، فاستعن بالله على عدوه وحربه،...ولا تكن كمن قيل فيه:

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو * ولا يرزا من العدو فتيلا.**[1]»

كما وجه الفقيه ابن عطية [2] خطابا جهاديا لأمير المرابطين علي بن يوسف، بعد سقوط ميورقة [3] بيد النصارى سنة 508هـ، وألحقها بقصيدة شعرية، فيقول الفقيه:« وأحر قلباه أمر ميورقة – رأب الله بصرفها – صدع الجزيرة، وجبر بجبرها من جناح الإسلام كسيره، وثقف – بغوث دمائها– ...»، وختمها بقصائد شعرية لتحفيزه على الجهاد والدفاع عن ميورقة، في قوله:

ونحـو أميرِ المسلمين تَطامحتْ * نَواظِرُ آمال وأيدي رغـائِبِ**
من النَّاس تستدعي حفيظة عدله * لصدمة خَطْبٍ في مَيُّورقَ ناصبِ**
لنا الله والملك الذي يرتجى بـه * من الزمن المِذْنَابِ رَجْعةُ تَائبِ**
ويغزو فلا شيء يقوم لعزمـهِ * ولو أنه يرمي به في الكـواكـبِ**
فلا زَالَ جيشُ النصرِ يقدُمُ جيشهُ * وتلقاهُ بالبُشْرى، وُجوهُ العواقبِ.**[4]

---

(1) حسين مؤنس، **ال**ثغر الأعلى الأندلس في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م، المرجع نفسه، ص 47.

(2) **ابن عطية** :هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، من أهل غرناطة، من الفقهاء والحفاظ وأهل الحديث والتفسير ، والأدب، كان قاضي على المرية، توفي سنة 541 هـ.(أنظر: النباهي المالقي الأندلسي (الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن)، تاريخ قضاة الأندلس، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت، 1403هـ/1983م ، ط5، ص109.

(3) **ميورقة: Mallorca** : بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء، وهي جزيرة في البحر الزقاقي في شرقي الأندلس، قربها جزيرة يقال لها منورقة، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري.(ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، المصدر السابق، ج2، ص666.)

(4) المصدر نفسه، ج1، ص، 668، 669.

وبعد هذه الخطبة التي لقيت استجابة من الأمير المرابطي، وأعطى أمر بتحضير الأسطول بقيادة محمد بن ميمون، لطرد النصارى من ميورقة، وحماية شواطئها، وانسحب النصارى منها بعد تدميرها، لكن بن ميمون شرع في تعميرها من جديد.[1]

وفي سنة 512هـ، حاصر النصارى مدينة سرقسطة، فبعث الفقيه ثابت بن عبد الله [2] خطبة إلى أمير المرابطين علي بن يوسف، يدعوه لإنقاذ سرقسطة، وحثه على الجهاد في قوله:« فإلى الله بك أشتكي ثم رسوله المصطفى ثم ولي عهده أمير المسلمين المرتضي، حين ابتعثك بأجناده وأمدك بالجم الغفير من أعداده، نادبا لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، ...ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التي أقر الله بهاءها»[3].

أما ابن سارة الشنتريني[4] الذي وصف القاسم المشترك بين المسلمين، واعتبر دفاع المرابطين عن الأندلس هو دفاع عن الدين الإسلامي، وشجع جهادهم في الجزيرة بمدح أميرهم أبو بكر بن إبراهيم بن تيفلويت[5] ويكنى بأبي يحيي، وشحن نفسيته لقتال النصارى، مخاطبه مادحا:

لم لا تراح شريعةُ التَّقوى بهم * وجفونها مِنْهُم ترى أنصارهَا؟**

---

(1) الصلابي علي محمد محمد ، الجوهر الثمين لدولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ، 1424هـ-2003م ، ط1، ص197.

(2) هو ثابت بن عبد الله بن ثابت العوفي ، يكنى أبا الحسن، من أهل العلم والفقه، ولي القضاء على سرقسطة، وانتقل لقرطبة بعد سقوط سرقسطة في يد النصارى (ت 514هـ =1120م).(ينظر: ابن فرحون المالكي (الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين توفي سنة 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417هـ-1996م، ط1، ص102.)

(3) حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلس في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م، المرجع السابق، ص 133.

(4) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكري الشنتريني، ويقال ابن صارة الشنتريني، ناثر وشاعر، احترف الوراقة، وسكن إشبيلية، امتدح بعض حكام الطوائف والمرابطين، توفي سنة 517هـ. (ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، المصدر السابق ، ج2، ص809-820.

(5) هو أبو يحي بن إبراهيم بن تيفلويت، يكنى بأبي بكر، وهو من أحد أمراء المرابطين، وصهر علي بن يوسف بن تاشفين، تولى حكم غرناطة ثم سرقسطة، توفي سنة 510هـ. (ينظر: : لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح: محمد عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1394هـ =1974م ، ط1، مج1، ص404.

فرقوا بخُرْصَانِ الرماح جـــنابهـا * وحموا بقضبان الصفاحِ ذِمَارَهَا**
لبسوا القلوب على الدروع فدوخوا * أرض العدى واستأصلوا كفارها**
واقذف نُحُورَ المشركين بِجَحْفَلٍ * يَمْحو مَعالمَ أرضِها ومَنَارها[1].**

أما ابن أبي الخصال [2] فقد استند في حض الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين على قصيدة أبي تمام في فتح عمورية، ومخاطبه لحماية ثغور المسلمين بالأندلس، إذ يقول:

وانهض نهوض أبي النفس معتزم * واسلك سبيل أبي إسحاق معتصم**
وخذ بثأرك في البيضاء واحتكم * يا غيرة الله عاينت فانتقمـــــي**

بغزو محتسب لا غزو مكتسب
وارم العدو بسهم منك لم يطش * وأنعش بحزمك ذاك الثغر ينتعش [3].**

خلاصة القول: وجه العلماء وبعض حكام ملوك الطوائف من الأندلس برسائل استنجاد من المرابطين وهي عبارة نصوص نثرية أو قصائد شعرية تحمل في طياتها خطاب حماسي وتذكر بفضل المجاهد وأجره عند الله سبحانه وتعالى هذا من جهة، ومن جهة ثانية تلزم وتقر بواجب الدفاع عن ثغور الديار الإسلامية، ونلتمس في هذه الرسائل حضور قوي للخطاب الجهادي.

---

(1) ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، المصدر السابق،ج2، ص 836.

(2) هو: محمد بن مسعود بن مسعود بن طيب بن فرج بن أبي الخصال (465 –540هـ)، يكنى أبا عبد الله ، هو شاعر وكاتب وأديب، كان كاتبا لعلي بن يوسف بن تاشفين ، له رسائل حققها : محمد رضوان الداية تعرف برسائل ابن أبي الخصال. (ينظر: لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، المصدر السابق، مج2، ص390–396.)

(3) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، تح: محمد رضوان الداية ، دار الفكر، دمشق، 1988م، ط10، ص48.

الفصل الثالث: الخطاب الجهادي في عصر الموحدين (541هـ- 668هـ)

المبحث الأول: الموحدون في الأندلس و دورهم في تعزيز الوجود الإسلامي (541هـ /668 هـ):

- الحياة السياسية عقب سقوط دولة المرابطين و تأسيس دولة الموحدين.
- دواعي و أسباب جواز الموحدين إلى الأندلس .
- إسهامات الموحدين في إنقاذ الأندلس.
- تداعيات ضعف الموحدين على الأندلس .

المبحث الثاني:خطاب علماء الأندلس و أثره في الصراع مع الممالك النصرانية

- جهود العلماء في الدفاع عن الأندلس من خلال التحريض على الجهاد .
- رسائل الأمراء للتحريض على الجهاد .

المبحث الثالث: الخطاب الجهادي في النّص الشّعري (مدينة بلنسية أنموذجا):

- حصار مدينة بلنسية (شعر الحصار و الاستصراخ) .
- سقوط مدينة بلنسية (شعر السقوط و البكاء) .
- شعر إحياء أمجاد الماضي.

المبحث الأول:

الموحدون في الأندلس و دورهم في تعزيز الوجود الإسلامي .

(541هـ /668 هـ)

أولا : الحياة السياسية عقب سقوط دولة المرابطين و تأسيس دولة الموحدين .

ثانيا : دواعي و أسباب جواز الموحدين إلى الأندلس .

ثالثا: إسهامات الموحدين في إنقاذ الأندلس.

رابعا : تداعيات ضعف الموحدين على الأندلس .

البحث الأول: الموحدون في الأندلس ودورهم في تعزيز الوجود الإسلامي(541هـ-668هـ)

أولا : الحياة السياسية عقب سقوط دولة المرابطين و تأسيس دولة الموحدين.

لقد شهد النصف الأول من القرن السادس الهجري أحداثا غيرت من الخريطة السياسية في المغرب الإسلامي سواء في الضفة الأندلسية أو المغربة، ومن أبرز هذه الأحداث ظهور دعوة و ثورة الموحدين في المغرب بزعامة محمد بن تومرت الملقب "**بالمهدي**"، و كان ذلك في الفترة مابين 515 هـ و524هـ [1]، فاضطربت الأوضاع السياسية في البلاد واضطر المرابطون إلى سحب بعض قواتهم من الأندلس للدفاع عن قواعدهم في المغرب، مما انعكس سلبا على الأندلس فبدأت الثورات و الفتن تملأ المشهد الأندلسي، و الذي شجع الأسبان عل زيادة حركة الاسترداد و الإستلاء على الأراضي الأندلسية، وكانت مملكة البرتغال في الجنوب أشد الممالك ضراوة و حربا على المسلمين. [2]

دخل المرابطون في معارك مع الموحدين و التي انتهت بسقوطهم سنة 541 هـ، و بذلك أفل نجم دولة المرابطين التي وصفها ابن الخطيب بقوله: "... كانت دولتهم دولة خير و جهاد و عافية، و أكثر الدول جريا على السنة رحمة الله عليهم...". [3]

و في خضم هذا الصراع بين الموحدين و المرابطين ترتب عليه نتائج سلبية على الأوضاع في الأندلس ، فقد كثرت الثورات ضد المرابطين ، كما استغل النصارى هذه الأوضاع بالإستلاء على الكثير من القرى و الحصون وبدؤوا يعملون على إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس. [4]

---

(1) **بن تومرت** :محمد بن عبد الله ت524 هـ. ظهر أمره سنة 514 هـ بمراكش، نشر دعوته و حارب المرابطين، بعد موته تسلم عبد المؤمن قيادة الموحدين . ينظر: مجهول ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، المصدر السابق ، ص 103- 119.

(2) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج 4، ص 526، و ينظر: يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، المرجع السابق، ج1، ص 257.

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ق 3، ص 265.

(4) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المصدر السابق، ص 300.

أمام هذه الأحوال السيئة من الفوضى و التمزق تحرك العلماء و ثاروا لاستنهاض الهمم و الدفاع عن الكيان الأندلسي المهدد بالزوال، فاتجهوا نحو المغرب لطلب النصرة من الموحدين بعد أن ملكوا البلاد ، وقويت شوكتهم فعملوا على إعادة الوحدة و الهيبة للمسلمين في بلاد الأندلس، حيث تمكن الجيش الموحدي في عهد عبد المؤمن بن علي[1] من إخضاع غرب الأندلس [2]،و في عهد يوسف بن عبد المؤمن[3] دخلت إمارات شرق الأندلس في طاعة الموحدين[4]،وفي عهد يعقوب بن يوسف[5] استطاع أن يحقق انتصارا كبيرا ضد النصارى في **معركة الأرك** [6] .

---

(1) **عبد المؤمن بن علي:** لقبه الموحدون بالخليفة و أمير المؤمنين ، يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين ، تولى قيادة الموحدين بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة 524هـ. – و يحدد صاحب الحلل الموشية و هو مؤلف مجهول، وفاة المهدي سنة 527هـ–، حيث تمكن عبد المؤمن بن علي من الإستلاء على مراكش سنة 541هـ، و استطاع أن يخضع معظم مناطق المغرب الإسلامي (المغرب الأقصى ، المغرب الأوسط ، المغرب الأدنى و أيضا غرب الأندلس . ينظر : مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق ، ص ص 142 ، 156 .

(2) استطاع الموحدون من السيطرة على اشبيلية 451هـ، قرطبة وجيان 543 هـ و غرناطة عام549 هـ، المرية سنة 552 هـ : ينظر ابن السماك العاملي ، الحلل الموشية، المصدر السابق، ج2، ص 105، الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954م، ج2 ، ص 105.

(3) **يوسف بن عبد المؤمن:** الملقب بأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ثاني حاكم لدولة الموحدين بعد وفاة أبيه المؤسس، جاز إلى الأندلس مرتين من أجل مجاهدة النصارى و حماية مسلمي الأندلس، أمر ببناء مسجد الجامع باشبيلية، كانت مدة خلافته 22 سنة. ينظر: مجهول، **الحلل** الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق، ص ص 157 ، 158 .

(4) أبو رميلة هشام، علاقات الموحدين بممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، جامعة النجاح نابلس، دار الفرقان، 1404هـ/1984م، ط1، ص148، 149.

(5) **الخليفة يعقوب بن يوسف:** تلقب بالمنصور بالله حكم 14 سنة، جاز إلى الأندلس مرتين افتتح في الجواز الأول عدد من الحصون و مدينة شلب، و في الجواز الثاني الذي كان في سنة 591هـ، قاد جيش المسلمين في انتصار ساحق على النصارى في معركة الأرك المشهورة. ينظر: مجهول ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، المصدر السابق ، ص ص 159 ، 160.

(6) **وقعت معركة الأرك:** بالقرب من حصن الأرك وهو حصن منيع في مدينة رباح، بين جيش الموحدين بقيادة الخليفة يعقوب بن يوسف المنصور بالله وجيش القشتالي الصليبي بقيادة ألفونسو الثامن، يوم الخميس التاسع من شهر شعبان سنة 591 هـ، وانتهت بانتصار ساحق للموحدين وكان لهذه الواقعة صدى في تاريخ الأندلس مثل: معركة الزلاقة في عهد المرابطين، ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق،ج1، ص27، وأيضا:عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المصدر السابق، ص 258، وابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد)، البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس و المغرب، تح بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي تونس ، 1434هـ /2013م، ط1، ج3، ص324–327.

وفي عهد الخليفة محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالناصر لدين الله[1] وقعت معركة العقاب[2] التي انهزم فيها الموحدون و ثأر النصارى لهزيمتهم في موقعة الأرك، وتعدّ معركة العقاب بداية انهيار دولة الموحدين في الأندلس و كذلك بداية انهيار الوجود الإسلامي فيها، و قد وصفت بعض المصادر تلك المعركة بالهزيمة العظمى[3].

شجعت هزيمة العقاب على التمرد و الخروج على طاعة دولة الموحدين في الأنـــدلس وخلع طاعتها، مثل ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي في مرسية[4] وأيضا في الوقت نفسه ثورة محمد بن نصر الذي اصطدم بابن هود و قضى على حركته[5].

أما في عدوة المغرب فقد تولى الخلافة خلفاء ضعاف اشتغلوا بالصراع على السلطة، و شجع البعض على القيام بالثورة و الانفصال عن دولة الموحدين، فنتج تشكل و ظهور دول مستقلة كدولة الحفصيين في تونس، و الزيانيين في تلمسان، و المرنيين في المغرب الأقصى. [6]

اضطربت أحوال الأندلس ، فزحف الصليبيون و بسطوا أيديهم على المدن الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى، وانتهت بسقوطها كلّها باستثناء غرناطة التي استطاع بنو الأحمر أن يؤسسوا فيها دولة. ظلت دولة الموحدين تصارع بني مرين في مراكش، وسقطت الدولة بمقتل آخر خليفة سنة 668هـ[7]، وبذلك انتهت دولة الموحدين التي حكمت المغرب و الأندلس ما يقارب قرن و نصف من الزمان من سنة 524 **هـ إلى سنة 668 هـ.**

(1) **الناصر لدين الله** : أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد المؤمن تلقب بالناصر لدين الله ، كانت خلافته 15 سنة، و هو الذي ولى على إفريقية ، جاز إلى الأندلس سنة 607 هـ و أقام فيها نحو عامين، افتتح معقل شلبترة (salvatierra)، وفي صفر من سنة 609 هـ انهزم في معركة العقاب ثم عاد قافلا إلى مراكش، و توفى بها سنة 610 هـ ، ينظر مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق، ص ص 160 ، 161 .

(2) **واقعة العقاب:** هي معركة دارت بين الموحدين بقيادة الناصر لدين الله والنصارى بقيادة أدفونش، قرب عصن سالم، سنة 609هـ، والتي انهزم فيها المسلمون.ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 401-403.

(3) مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 161.

(4) **محمد بن يوسف بن هود الجذامي:** هذا الرجل أصبح صاحب الأندلس بعد زوال دولة الموحدين، وملك مرسية، قرطبة، إشبيلية، غرناطة، مالقة، والميرية و تلقب بالمتوكل على الله، و كان يدعى بأمير المؤمنين ينظر: لسان الدين الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 246.

(5) ابن عذارى ، البيان الغرب، المصدر السابق ، ج3 ، ص 286

(6) علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، المصدر السابق ، ص 281.

(7) المصدر نفسه ص 259

ثانيا: دواعي و أسباب جواز الموحدين إلى الأندلس

معظم المصادر تجمع حول إرجاع سبب جواز الموحدين إلى الأندلس، هو أنّ أهلها هم من بادروا بالاستنجاد بالموحدين ثم مبايعتهم، لأنهم كانوا يشكّلون القوة الأولى في المغرب الإسلامي[1].

رغم أنّ الأوضاع السياسية لم تكن قد استقرت للموحدين بشكل مطمئن في بلاد المغرب، بحكم انشغالهم بملاحقة بقايا المرابطين، وفي ظل هذا الظرف ازداد الصراع والانقسام الداخلي بالأندلس، فبادرت بعض أطراف الصراع بالأندلس بالاتصال بالخليفة عبد المؤمن بن علي، حيث تلقى مبايعة " أبي الغمر السائب بن عزون[2]"، أحد ثوار الأندلس بمدينة شريش[3]، وبايعه أيضا علي بن عيسى بن ميمون[4]، وأيضا استنجد بالخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي ابن قسي[5].

فضلا على العسكريين الذين استنجدوا بالموحدين، فهناك أيضا القضاة، **فالقاضي ابن حمدين**[6] صاحب ثورة قرطبة تقرب من دولة الموحدين حتى يقوي مركزه و وجوده[7].

ويتبين لنا من خلال هذه الدراسة أنّ الموحدين بقدر الجهد الذي بذلوه في إسقاط دولة المرابطين، إلا أنهم أيضا حاولوا الحماية والمحافظة على إرث المرابطين، كالاحتفاظ بالعاصمة مراكش مثلا.

---

(1) البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص 69.

(2) **أبي الغمر السائب بن عزون** :هو أحد ثوار بالأندلس ظهرت ثورته في نهاية عهد المرابطين دعا لابن حمدين في بداية أمره، ثم خلع طاعته و استقل بمدينة شريش و أركش و رندة ينظر: ابن عذارى، البيان، المصدر السابق، ص 38.

(3) **شريش** : مدينة بالأندلس و هي مدينة متوسطة حصينة مسورة الجنبات حسنة الجهات و قد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون و التين و الحنطة) ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، المصدر السابق، ج2، ص 572.

(4) **علي بن عيسى بن ميمون:** هو أبو الحسن على بن عيسى اللمتوني قائد الأسطول البحري للمرابطين، استقل بجزيرة قادس، بايع الموحدين . ينظر: ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، المصدر السابق، ص345.

(5) **ابن قسي** : هو أبوا لقاسم أحمد بن الحسين القسي، رومي الأصل أقبل على تعلم كتب الغزالي، ادعى الهداية و تسمى بالإمام، و (صاحب ثورة المريدين) بعد اختلال دولة المرابطين، ينظر : ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 197 .

(6) **ابن حمدين** : هو حمدين بن محمد بن حمدين التغلبي، قال عنه صاحب "الذيل": ولي القضاء بقرطبة، ودعي له بالإمارة، يوم الخميس الخامس من رمضان سنة 539هـ، وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله، ويقال أن ولايته دامت أربعة عشر شهرا، وذكره أيضا ابن الزبير في باب "أحمد" من حرف الألف، وقال فيه:" ...وولي قضاء الجماعة، وكان ذا رواية، وعناية بالعلم، توفي سنة 547هـ. ينظر: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص103، 104.

(7) المصدر نفسه ، ص 104.

ثالثا: إسهامات الموحدين في إنقاذ الأندلس

عملت دولة الموحدين بعد تلبية نداء إنقاذ الأندلس على إعادة الاستقرار، والقضاء على التمرد والاضطرابات في داخل الأندلس، حيث وصف ابن الخطيب ذلك بقوله:«...أنقت الأرض من عشب الثوار»[1]، كما عملت على توطيد صلتها بالأندلسيين من خلال نشر العدل و المساواة، و حظيت الأندلس بالاهتمام الكبير من خلفاء الموحدين فجاءت وصية أبي يوسف يعقوب المنصور(580 هـ /595 هـ) بقوله: "... أوصيكم بالأيتام واليتيمة ..."[2]، و هو يقصد بالأيتام مسلمو الأندلس، واليتيمة بأرض الأندلس.

استطاع الموحدون في فترة زمنية قصيرة نسبيا أن يخلصوا الأندلس من أطماع الممالك النصرانية، ففي سنة 555هـ، جاز الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس واجتمع بالأمراء و القادة و الشيوخ وأعيانها و فقهائها، لرسم خطة حربية بهدف حماية الأندلس و إنقاذها من السقوط في يد النصارى، و أصبحت في مأمن، خاصة في عهد الخلفاء الأقوياء الثلاثة الأوائل، وبلغت الدولة الموحدية مستوى رفيعا سياسيا وعسكريا، واستعادوا هيبة الإسلام في الأندلس، وعَطَلُوا الزحف الصليبي عن طريق الجهاد، بذلك سيطر الموحدون على الأندلس فلم يبق خارجا عن طاعتهم إلا شرق الأندلس، التي كانت تحت سيطرة محمد بن سعد مردنيش[3]، وجزر البليار التي كانت تحت حكم محمد بن علي بن غانية العامل المرابطي الذي استقل بها سنة 543هـ. بعد هزيمة ابن مردنيش في معركة فحص الجلاب، ثم وفاته سنة 567هـ، سيطر الموحدون على الجزء الشرقي للأندلس، ومن أعظم المعارك التي خاضها الموحدون معركة الأرك سنة 591هـ التي

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج3 ، ص 137

(2) ابن السماك العاملي الأندلسي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، المصدر السابق ، ص 157.

(3) **مردنيش:** أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي، و هو من المولدين استقل بمنطقة شرق الأندلس بالتعاون مع الممالك النصرانية ظهرت ثورته سنة 554 هـ ضد الموحدين حيث استولى على الكثير من المدن والحصون واستمرت إلى سنة 567هـ حيث تعرض لهزائم من قبل الموحدين توفى سنة 567 هـ و دخل ابنه أبو القمر هلال في طاعة الموحدين .ينظر: خليل إبراهيم السامرائي و أخرون، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، دار الكتاب بيروت، لبنان ، 2000م، ط1، ص 267، 271 .

انهزم فيها النصارى، وأصبحت الأندلس تعيش استقرارا أمنيا في النصف الأول من عهد الخليفة الناصر[1].

ولهذا يمكن القول أنه خلال القرن السادس الهجري كانت دولة الموحدين تمثل قوة سياسية فاعلة و ترسانة عسكرية كبيرة في غرب البحر المتوسط في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني من شدة الحروب الصليبية والهجمات المغولية الكاسحة و حروب الاسترداد الإسبانية استطاع الموحدون حماية العالم الإسلامي في بلاد المغرب و الأندلس و بفضل هذه الجهود حافظ الموحدين على الأندلس و أخروا سقوطها لمدة ثلاثة قرون .

رابعا : تداعيات ضعف الموحدين و سقوطهم على الأندلس.

كانت دولة الموحدين خلال القرن السادس هجري قوية مترامية الأطراف، تمتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و من البحر المتوسط و الأندلس شمالا إلى بلاد السودان جنوبا. مما جعلها تشكل حاجزا منيعا يحمي دار الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، لكن مع بداية القرن السابع الهجري دبّت عوامل الضعف في الدولة، و بدأت الأوضاع تتغير في المغرب والأندلس لصالح النصارى ويعود هذا التراجع إلى جملة من العوامل منها :

- الصراع الأسري على الحكم بين أبناء عبد المؤمن يعدّ من أهم عوامل الضعف والسقوط، وقد تطور هذا الأمر إلى ثورات، كثورة عبد العزيز و عيسى أخوي المهدي على عبد المؤمن بن على سنة 548هـ[2].
- ضعف الخلفاء المتأخرين حيث تولى الحكم صغار السّن الذين لم تكن لهم الدراية بالحكم، مما عرضهم لجملة من المؤامرات الداخلية و الخارجية التي هزت كيان الدولة، بالإضافة إلى الانغماس في الملذات و الملاهي مثلما كان عليه الناصر[3].
- استبداد الولاة بأقاليمهم وانفصالهم عن الدولة في مرحلة انحلالها زاد من ضعفها وعجل بسقوطها

(1) أبا الخيل (محمد بن أبراهيم بن صالح الحسين) ، جهود العلماء في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين 483هـ/640هـ ، دار أصداء المجتمع للنشر السعودية، 1419هـ /1998م، ط1، ص58 .

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص51.

(3) **الناصر**: (أبو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن حكم مدة خمسة عشر سنة حدثت في عهده واقعة العقاب توفى سنة 610هـ ينظر عبد الواحد المراكشي، المعجب ، المصدر السابق ، ص 254.

كما فعل زيد البياسي في بلنسية سنة621هـ، و أخوه عبد الله البياسي في قرطـبة سنة 623هـ و غيرهم في الأندلس و المغرب [1].

– كثرة الثورات و الفتن التي نخرت قوة الدولة، و لم يسلم إقليم من أقاليمها من هذه الثورات التي لزمت الدولة منذ النشأة إلى السقوط، مثل ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي سنة 541هـ، وثورة بني غانية التي تـعدّ مـن أعنف الثورات والتي استمرت نصف قرن تقريبا، وكذلك ثورة ابن مردنيش, التي استمرت أكثر مـن عقـدين ، و قـد أدت هـذه الثورات إلى ضياع أجزاء كثيرة من الأندلس كألمرية وسرقسطة [2]، و هنـاك أيـضا عوامل أخرى اقتصادية، وعسكرية،و اجتماعية، و ثقافية أدت إلى زوال الحكم الموحدي في الأندلس والمغرب.

بمقتل أبي دبوس[3] وسقوط مراكش في يد المرنيين سنة 668هـ[4]، تغيرت الخريطة السياسية في المغرب بانقسامه إلى ثلاث دويلات بنو مرين في المغرب الأقصى، و بنو عبد الواد في المغرب الأوسط، و بنو حفص في المغرب الأدنى. و ظلت العلاقات بين هذه الدويلات متوترة منّ تأسيسها إلى سقوطها .

كان لسقوط دولـة الموحدين أخطر حـدث عرفه المغرب والغرب الإسلاميين نظرا لمكانة هذه الدولة و الخدمات التي قدمتـها في المجال السيـاسي و الحضاري ، و بسقوط أكبر و أهم دولة في المغرب الإسلامي فتح الباب أمام تطورات سـياسية خطيرة مليئة بالأحزان و فقد الإسلام هيـبته في المنطقة .

كان لسقوط الدولة الموحدية تداعيات وانعكاسات سلبية، حيث ظهر بالمغرب كيانات سياسية متناحرة فيما بينها طيلة ثلاثة قرون، أما في الأندلس فكان المشهد أكثر سوادا حيث تهاوت

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، قسم الموحدين، 270.

(2) خليل إبراهيم السامرائي و أخرون، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، المرجع السابق، ص267– 284.

(3) **أبي دبوس** : هو أبو دبوس الواثق بالله، أخر خليفة للدولة الموحدية، حكم ما بين 665-668ه، أزاحه عن الحكم أبو يوسف المريني سلطان بلاد المغرب، واستولى في عهده المرينيون على عاصمة الدولة الموحدية مراكش. ينظر:محمد علي الصلابي، صفحات من تاريخ الإسلامي(دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، عمان، 1998، ص257.

(4) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 205.

المدن الأندلسية أمام المد النصراني، و عَجزَ المسلمون عن رد هذا العدوان، و ازدادت حركة الاسترداد النصرانية [1].

أمام هذا الفراغ السياسي الذي تركه الموحدون بادر فردناند الثالث ملك قشتالة بغزو الأراضي الإسلامية فسقطت الحصون و المدن الواحدة تلوى الأخرى، فأصبحت الأندلس الجنوبية كلها تحت سيطرته[2].

أما مملكة البرتغال استولت على جل القواعد الإسلامية الغربية[3]، فحين أن مملكة أرغون استولت على القواعد الشرقية[4]_ وهذا من تداعيات ضعف و سقوط دولة الموحدين_، و بذلك استولى النصارى على جل الأندلس، ولم يبق إلا مملكة غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس و التي قضى عليها النصارى لاحقا بعد توحيد مملكة أرغون و قشتالة، وبالتالي استطاع النصارى اجتثاث الوجود الإسلامي نهائيا من الأندلس[5].

(1) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص 551 .

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 551.

(3) محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق2، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/ 1990م،ط2، ص 492.

(4) هناك دراسة مستفيضة حول تداعيات انهيار دولة الموحدين ينظر: رسالة ماجستير، سقوط دولة الموحدين دراسة تحليلية في أسباب و تداعيات، للطالب صديقي عبد الجبار، جامعة أبي بكر بلقايد، 2014/2013، الفصل الثالث من ص- ص 156 - 184.

(5) المرجع نفسه، ص ص 162 ، 164.

المبحث الثاني :

خطاب علماء الأندلس و أثره في الصراع مع الممالك النصرانية

أولا : جهود العلماء في الدفاع عن الأندلس من خلال التحريض على الجهاد .

ثانيا : رسائل الأمراء للتحريض على الجهاد .

ثالثا : أثر الخطاب الجهادي في الصراع الإسلامي النصراني .

البحث الثاني: خطاب علماء الأندلس وأثره في الصراع مع الممالك النصرانية

أولا : جهود العلماء في الدفاع عن الأندلس من خلال التحريض على الجهاد.

علماء الأندلس كان لهم دورا كبيرا في مواجهة العدوان الصليبي النصراني، و ذلك بشحذ الهمم و تقوية العزائم لدفع العدو و تحرير المدن و الحصون، و إعادة هيبة المسلمين في الأندلس عن طريق الجهاد فصنف العلماء كتب عديدة تتعلق بالجهاد، ككتاب الترغيب في الجهاد لأبي عبد الله التجيبي،[1] وكتاب الإنجاد في الجهاد لأبي عبد الله بن أصبغ المعروف بابن المناصف[2]، وكذلك كتاب بغية المرتاد في التعريف بسنة الجهاد لأبي القاسم الطيلسان.[3] يبدو أن هذه الكتب والمصنفات دفعت مسلمي الأندلس إلى التعلق بالجهاد و الذود عن الأندلس و مما لا شك فيه أن محتويات هذه المصنفات تدعو إلى التحريض على الجهاد في سبيل الله و تذكر أهل الأندلس بواجب الدفاع عنها لأنّ حالها صارت مسرحا للنهب وللاغتصاب، فاستأسد النصارى على المسلمين و ابن الخطيب يصف هذه الحال بقوله : "... و أمسى لا همّ لهم إلا استرجاع البلاد والأقطار... و افتتاح القلاع و الاستيلاء على الثغور، تارة في سبيل المشارطة و الاستجارة، و تارة في سبيل المسالمة و المتاركة، و تارة بالغلاب و المنازلة ..." [4].

استغل النصارى فترات الضعف والانقسام الداخلي للأندلس فشنوا هجمات على الأراضي الإسلامية و التي نتج عنها سقوط لكثير من المدن و الحصون في أيديهم وعلماء الأندلس هم جزء من النسيج المكوّن لبلاد الأندلس فعايشوا هذه المآسي و تجرعوا مرارتها و آلامها فهبوا مدافعين عنها يستنفرون سكان الأندلس، و يستنهضون الهمم، و يلهبون المشاعر، و يستثيرون الحماس.

(1) **التجيبي:** أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن علي التجيبي من أهل لقنت من مرسية، برع في الحديث له رحلة إلى المشرق، له مجموعة من المؤلفات ككتاب الفوائد(ت610هـ) ينظر: ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص589.

(2) **ابن مناصف:** هو محمد بن عيسى بن أصبغ الأزدي ولد بأفريقية سنة 563هـ هاجر والده إليها بعد سقوط المرابطين كان فقيها له مصنفات كثيرة منها كتابه الإنجاد توفى 620 هـ ينظر: المصدر نفسه، ج2، 611.

(3) **أبو القاسم بن الطيلسان:** من أهل القرطبة ولد عام 575هو توفى عام 642هـ بمالقة، هاجر إليها بعد سقوط قرطبة، وخلف العديد من المؤلفات منها كتاب الجهاد ينظر: السهيلي ، جذوة المقتبس، المصدر السابق، ص28 .

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 241.

و لمجاهدة الأعداء يذكر المقري دور العلماء في هذا الصراع بقوله : "... و لما تقلص ظل الإسلام بالجزيرة...، واسترد الكفار، دمرهم الله، أكثر أمصارها و قراها، على وجه العنوة والصلح و الاستسلام، لم يزل العلماء و الكتاب و الوزراء يحركون حميّات ذوي البصائر و الأبصار...، و يستنهضون عزماتهم من الأمصار ..." (1).

و يذكر المؤرخون أن وفودا كثيرة من الأندلس قدمت إلى المغرب تدعو الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس، و تستنصره للجهاد فيها، و قد أشار الشاعر إلى ذلك قائلا:

و كَرّ إلى نَصرِ الجَزيرةِ بَعْدمَا * أتَاهُ مَع الرُكبَان نَاعٍ و نَاعِق**(2).

و ندرك من خلال هذا أن الجيش الذي عبر مع الخليفة كان كثير العدد تضيق به الأرض.

عندما جاز الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس سنة 555هـ، مكث في الجزيرة الخضراء مدة شهرين يدرس أحوال الأندلس، أقبل عليه العلماء يدعونه لنصرة الأندلس، ومن بين هؤلاء ابن المنخل الشلبي(3) الذي ألقى قصيدة بين يدي الخليفة عبد المؤمن بن علي يدعوه من خلالها إلى نصرة أهل الأندلس و إعلان الجهاد ضد الممالك النصرانية يقول فيها :

فَتحتُم بِلادُ الشَّرقِ فَاعْتَمِدُوا الـغُربَا * فإنَّ نَسـيمَ النَصر بِالفتحِ قد هَبّا.**

أَقيمُوا إلى ابن الرّيقِ(4) بعد صُدورهَا * و لَيسَ عَليكم أن ترى ضَمّرا قَبّا.**(5)

فالشاعر يشيد بقوة الموحدين بعد أن سيطروا على بلاد المغرب و فتحوا المهدية و حرروها من النـرمان، و يلفـت انتباه الخليفة إلـى ضـرورة مـد يد العون، و إعلان الجهـاد ضــد مملكة البرتغال التي استولت على العديد من المدن و الحصون في غرب الأندلس.

---

(1) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح: مصطفى السقا و أخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر ، القاهرة 1358هـ /1939م ج1 ، ص 63.

(2) ابن صاحب الصلاة عبد الملك، المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، 1987، ط3، ص 105-108.

(3) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخل من مدينة شلب أديب و فقيه و شاعر (ت 560هـ) ينظر : ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص 28 .

(4) **ابن الرّيق** :هو حاكم البرتغال المسمى بـ ألفونسو هنريكيز، و تسميه بعض المصادر العربية بـ ابن الرّنك، عاصر الخليفة عبد المؤمن وابنه أبو يعقوب، استولى على بعض المدن في غرب الأندلس ينظر: خليل إبراهيم السامرائي و أخرون، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، المرجع السابق، ص259 -260.

(5) ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، ج3، ص 45.

و يقول أيضا في هذه القصيدة :

عَليهَا رِجال كَالقـــداحِ و إنّـمَا * يكُونون في الهيجاء هِنْدِيةٌ قَضَـبا**

فَإن تَبدؤُوا بِالغَربِ فالفَتحٌ واضِحٌ * و إنَّ نُجـــومَ الـدِّين طَالعة غربـَا**

ضَمَان عَليكُم أَن تَبيحُوا حَرِيمَهٌ * وأَن تَكسِرُوا فيها التَماثِيلَ و الصَّلبَا.[1]**

يبدو أن صاحب القصيدة ابن المنخل الشلبي كان على دراية لمخططات الممالك النصرانية، ومدركا للخطر الذي سيواجه مسلمي الأندلس لذا فقد حث الخليفة عبد المؤمن بن علي التوجه غربا لمحاربة مملكة البرتغال، حيث يذكر ابن الأبار أنّ ملك البرتغال ابن الرّنك كان من أكثر قادة النصارى خطرا على المسلمين في الفترة جواز الخليفة عبد المؤمن إلى الأندلس[2] .

و يذكر الناصري أنّ الخليفة عبد المؤمن رحب و أكرم وفادة فقهاء الأندلس و استمع إليهم حيث وصفوا له الدمار و الخراب الذي حلّ بالبلاد نتيجة اعتداءات النصارى المتكررة[3]، وهذا لدفعه لمحاربة النصارى و إعلان الجهاد في الأندلس .

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب، المصدر السابق، ج3، ص 45.

(2) ابن الأبار ، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج1، ص 272.

(3) الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، المصدر السابق، ج 2، ص 119.

فابن مردنيش تحالف مع النصارى، و سيطر على مناطق واسعة في شرق الأندلس، وعندما حاصر بلدة شقر، وضيّق الخناق على أهلها، أرسل أبوبكر المخزومي[1] رسالة إلى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي يستصرخه وهي عبارة عن قصيدة شعرية صوّر فيها الشاعر الخطر و التهديد الذي يمثله ابن مردنيش على أهل هذه البلدة و مما جاء فيها:

تَــدَارِكَ أَميرٌ المُؤمِنينَ دِماءَنَا * فَإنَــك للإِسْلاَم و الــدِّينِ نَاصــرٌ**

و وجِــه إِلى اسْتنقَاذِنَا بِكَتيــبـةٍ * يُهـَابُ الرَدَى مِنهـَا العَدُو المُحاصِرٌ**

تَنفسْ مِن ضِيقِ الخِنَاقِ بِأَرضنَا * فَتُدرِكْ أمـَالٌ و تَـرعَى أَواصِـــــرٌ**

إِذا مَا انكَفَى بالخِزي و ارتدَّ خَائِبًا * فَمَطمَحُـهُ عَن نَيـــلِها مُتقَاصــــرٌ.[2]**

يتبيّن لنا من خلال هذا النص الشعري أنّ الشاعر يستصرخ الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي و يصور له ما آل إليه الوضع في بلدة شقر بعد حصارها من المتمرد على سلطة دولة الموحدين والمتحالف مع النصارى ابن مردنيش، و يستعطفه بالدماء و ضيق الخناق و أواصر و روابط الدّم و الدّين حتى يدفعه إلى الجهاد و يخلصهم من هذا الضيق، إذا هذا النّص يتضمن خطابا جهاديا من خلال العبارات التالية : تدارك دماءنا، ناصر لدين الإسلام، استنقاذ، العدو المحاصر...إلخ.

بعد بيعة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالخلافة أرسل أبوبكر بن المنخل الشلبي[3] إليه رسالة يهنئه بالخلافة، و في نفس الوقت يدعوه إلى إنقاذ مدينة شلب التي تعرضت إلى الدمار و الخراب من التحرش الصليبي، وهذه الرسالة عبارة عن قصيدة شعرية قال فيها :

---

(1) أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي يكنى أبا بكر، و هو يشهد له بالزهد والصلاح و مصاحبة الفقراء ينظر: المقري، النفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 290.

(2) ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 292.

(3) ينظر إلى الصفحة السابقة، ص14 (تعريف الشخصية)

إِنَّ الأَعَادِي لَا تَزالُ كَعهـــدِها * تُوري بِشَلبٍ مَغارهَا وكِفَاحَهَا**

قد غيَّضَت أَنهَارهَا، و تَحَرَّقْت * أَشجَارهَا، و تَكفّأتْ أَقْداحُـــهَا**

كَلفْت بِهَا أَعْداؤُها حَتَى لَـقَد * أَخذُوا عَليهَا نَجدهَا و بِطَاحَهَا**

ما ضَرّنَا أَن غَلّقُوا مَا حَولَهَا * إِنَ كَان سَيفكُ بَعدهَا مِفتاحَـهَا**

فَعَلى سُيوفِكَ أَن تُبيدَ كَماتَهَا * و عَلى جُيوشِكَ أَنْ تَرُوّحَ سَاحتهَا** [1]

يتبيّن لنا من خلال هذا النّص الشعري، أنّه يتضمن الدعوة إلى الجهاد للخليفة يوسف بن عبد المؤمن بعدما وصف له حالة المدينة التي تعرضت للخراب، و استيلاء النصارى على الأرض من خلال العبارة التالية: إن كان سيفك بعدها مفتاحها.

و هناك دعوة أخرى مشابهة بعث بها ابن حربون[2] إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن يدعوه فيها إلى الجهاد في الأندلس بشكل عام بهدف استعادة أمجاد الماضي من الفتح إلى موقعة الزلاقة مرورا بالحكم الأموي ، حتى تستعيد الأندلس هيبتها من جديد و مما قال فيها:

و إِنّـي لأَرجُـو للجَزِيرةِ كَـرّةً * تَعيدَ عَليهَا عَهْدهَا المُتقادِمَا !**

و أَنـتَ أَمِينُ الله تُجبِرُ صَدْعَهَا * و إِنْ قَـالَ قَومَ إِنهُ قد تَـقادمَـا**

تُحـي رُسومَ التَابعينَ بِأرضِـنَا * فَهاهِي تَسْتَدْعيكَ غَبرًا طَواسِمَـا**[3].

---

(1) عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 245.

(2) **ابن حربون:** أحمد بن عبد الله الشلبي شاعر كبير عاصر المرابطين و الموحدين في الأندلس ينظر : ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج2، ص284 .

(3) المقري، النفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص 220.

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أنّ هناك دعوة صريحة من صاحبها إلى الخليفة الموحدي يدعوه فيها إلى إحياء الأندلس من جديد، كما كانت في عهد عبد الرحمان الداخل من خلال الجهاد في سبيل الله.

و ذكر لنا المقري قصيدة أخرى لشاعر يدعى أبو بكر الوقشي الذي نظم قصيدة خصص جزء منها للتحريض على الجهاد أرسلها إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن والتي جاء فيها :

أَلا لَـيْتَ شِعري هَلْ يَمُدَّ لِي المَدَا * فَأَبْصِر شَمْلَ المُشْرِكِينَ طَرِيدًا**

و هَلْ بُعدِ يَقْضِى بِالنَصَارَى بِنُصرةٍ * تُغَادِرهُم لِلمُرهَفاتِ حَصِيدًا**

و يَغْزُو أَبُو يَعقُوبَ فِي شِنتِ يَاقِبِ * يُعِيدُ عَمِيدَ الكَافِرِينَ عَمِيدًا**

يُغَادِرهُم جَرحَى و قَتلَى مُبرّحًا * رُكُوعًا عَلى وجْهِ الفَلا و سُجُودًا**

و يَفتكُّ مَنْ أَيَدَي الطُّغَاةَ نَواعِمَا * تَبدَّلنَ مِنْ نَظْمِ الحُجُّولِ قُيودًا** [1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أنّ صاحبها يدعو الخليفة الموحدي إلى النصرة و الجهاد لتخليص الأسرى من النساء اللواتي وقعن في أيدي النصارى و تحرير الأرض و إذلال المعتدين، و إعادة الأندلس إلى سابق عهدها، و هو يأمل أن يمد الله في عمره حتى يرى هذا النصر للمسلمين، وهزيمة النصارى و هم مابين قتيل و جريح و أسير.

و حرض الشاعر و العالم أبو العباس بن سيّد المالقي[2] الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف بن علي على الجهاد في قصيدة له جاء فيها :

(1) المقري، النفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 334.

(2) احمد بن حسين بن سيّد الجراوي من أهل مالقة يكنى أبا العباس، كان لغويا نحويا و شاعرا، اشتغل في الدواوين الأندلسية ينظر : ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج1، ص63.

إليــكُمْ أَمِيــرَ المُؤمِنِينَ تَوجَّـهَتْ * بِنَـا الرَّغَباتِ الجَمّ يَحُتثُّهَا جِـهَدُ**

فَقَد عَضَّهُمْ نَـابُ مِنْ الكَفَر مُعْضِلُ * و كَانُوا بِكُمْ دَهرًا و أَنَيـابِهِ دَردُ**

بِكُمْ يَعْصِمُ الله العــَـلِيَّ جَمِيـعُهْم * بِكُمْ تَكْثُر الآمَـالُ بَل يَكْثُرُ الرَّفِدُ**

بِكُمْ يَعْتلِي الإِسْـلاَمُ شَرقًا وَ مغْربَا * فَلَّله فِيهَا دِائِمَـا، و لَكَ الحَمْدُ**[1]

يتبيّن لنا من هذه الأبيات حرص الشاعر على لفت انتباه الخليفة الموحدي إلى ما آلت إليه الأندلس بعد أن تحكم فيها النصارى، حيث عبر عن هذا بـ:"**عضّهم ناب من الكفر معضل**" و تداعياتها على مسلمي الأندلس، و يدعو صراحة إلى الجهاد و وجوب التصدي لهجمات المعتدين من النصارى من جهة و إلى إرساء قواعد عسكرية ثابتة لحماية والدفاع عن الأندلس بمعنى إلحاق الأندلس لسلطة الموحدين لقوله " **بكم تكثر الآمال بل يكثر الرّفد** "

(1)عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 125.

ثانيا : رسائل الأمراء للتحريض على الجهاد

بعد قيام دولة الموحدين و تحكمها في مختلف مناطق المغرب الإسلامي من برقا شرقا إلى الأطلسي غربا حرصت على حماية و الدفاع عن الأندلس، و ذلك بالتصدي للمد النصراني من خلال تحرير الكثير من المدن والحصون والدفاع عن العالم الإسلامي خاصة في نصفه الغربي، و حتى يدعموا مركزهم في هذه المنطقة وجب على الجميع أن يشارك في هذه العملية بهدف إنقاذ الأندلس و إعادة هيبة الإسلام فيها.

فوجه أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن رسالة يستدعي العرب من إفريقية، و يحي نزعة الجهاد للتحرير الأندلس و حماية العالم الإسلامي من الحروب الصليبية التي اشتدت خلال القرن السادس الهجري وهذه الرسالة عبارة عن قصيدة شعرية في حدود ستة و أربعين بيتا نظمها العالم و الفيلسوف المقرب من الخليفة ابن طفيل[1] والتي جاء فيها: (البحر الطويل)

أقيموا صـــدور الخيل نحو المغارب * لغزو الأعادي و اقتنـــــاء الرّغـائب**

و أذكوا المذاكي العاديات على العدى * فقد عرضت للحرب جـرد السّلاهب**

فـــلا تقتنـــي الآمال إلا مـن القنـــا * ولا تكـتب العليا بغيـــر الكتـــائب**

ولا يبلـــغ الغايـــات إلاّ مصمـــّم * على الهول ركّاب ظهور المصاعب**

يرى غمرة الهيجاء أعذب مشـــرب * و إن أعرضت رزقا جمام المشارب.[2]**

---

(1) **ابن طفيل** : أبو بكر بن طفيل أحد فلاسفة المسلمين عاش في الأندلس خلال القرن السادس الهجري، له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات كرسالة حي بن يقظان، و من الإلهيات رسالة في النفس، كما كان حريصا على الجمع بين الحكمة و الشريعة، و مهتما بالطب و الأدب .... ، و كان الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف شديد التعلق به ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخبص أخبار المغرب ، المصدر السابق ص ص 176 ،177 .

(2) عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص325.

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أنّ الخليفة الموحدي على لسان ابن طفيل يستدعي عرب إفريقية إلى الأندلس للجهاد مع إخوانهم ضد النصارى، وتحمل هذه الأبيات شحذ الهمم، و الإسراع بالركب الجهادي لنصرة أهل الأندلس.

و لقد جاء في الأثر أنّ خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال:" **احرص على الموت توهب لك الحياة**"[1]، فالبيت الرابع يحمل هذا المعنى أي أنّ الذي يريد الوصول إلى المبتغى لا توقفه المصاعب .

ثم يقول ابن طفيل:

و يأنف إلاّ مكسبا من حسامه * و يعرض عزّا عن جميع المكاسب**

ألا فابعثوها همّة عربية * تحفّ بأطراف القنا و القواضب**

أفرسان قيس من هلال بن عامر * و ما جمعت من طاعن و مضارب**

لكم قبّة للمجد، شدّوا عمادها * بطاعة أمر الله من كلّ جانب**

و قوموا لنصر الدّين قومة ثائر * و فيئوا إلى التّحقيق فيئة راغب** [2]

صاحب القصيدة من خلال هذه الأبيات يدعو عرب هلال بني عامر إلى عدم التأخر أو التقاعس عن نصرة إخوانهم في الأندلس، و يذكرهم بمجد هذه القبائل العربية قديما من جهة، و بواجب طاعة الله من جهة ثانية كي يبث فيهم روح الجهاد.

(1) عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق، إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة و النشر، 2005، ط6، ص 117.

(2) عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص325.

ثم جاء في نفس القصيدة :

بكم نُصرَ الإسلام بدأً، فنَصرُه * عليكم و هذا عَودُه جدّ واجب**

فقوموا بما قامت أوائلكم به * و لا تُغفلوا إحياءَ تلك المناقب.[1]**

ثم يقول :

فإنكم قيس و فرسان ربّنا * على الأرض من قيس بغير مغالب**

خذوا حظكم فالأمر جدّ، و إنما * يكون بقدر الجدّ قدر المناصب.[2]**

يبدو أنّ صاحب هذا النّص يدغدغ العواطف و يربطها بإحياء أمجاد هذه القبائل العربية، و يذكّرها بما قدمته من جهد لنصر الدعوة الإسلامية في مهدها، و هذا كله من أجل جلبهم إلى الأندلس لتحريره و حمايته من الممالك النصرانية.

ومما سبق يتضح لنا أنّ ابن طفيل وظّف المنطق لخدمة البيان، لطبيعة تكوينه فهو فيلسوف، وأديب، وطبيب.

و جاء فيها أيضا:

تحثُّ بهم نحوَ البدار إلى الهُدى * عتاقُ جياد أو عتاقُ نجائب**

فطاروا إلى الداعي سراعا كأنهم * قداح تلقى الفوز من رمي ضارب**

فخصّوا من التّكريم و البرّ بالّذي * يكون جديرا بالوليّ المُصاقب[3]**

---

(1) عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 326.

(2) المصدر نفسه، ص ص 326، 327 .

(3) المصدر نفسه، ص 327.

فنالوا محلّ السّبق فانفسحت لهم * رياضُ الأماني سائحات المذانب** [1]

تحمل هذه الأبيات الإسراع في تلبية دعوة الخليفة الموحدي للجهاد في الأندلس، لأنّ الموقف لا يحتمل التراخي و التثاقل و التأخر، و هناك أيضا إذكاء لروح الجهاد في نفوس عرب إفريقية و ختم القصيدة بهذه الأبيات:

و ليس خطيب الصّدق من قال فانبرى * و لكنّ فعل الحرّ أصدق خاطب**

و ما خلق الأعراب إخلاف موعد * و لكنّ صدق الوعد خلق الأعارب**

سنعلم من أوفى ومن خاس عهده * و من كان من آت إلينا و ذاهب**

و تظهر أحوال يروق سماعها * فيرغب في أمثالها كلّ راغب**[2].

يذكّر ابن طفيل العرب بأخلاقهم و بخصالهم النّبيلة كالوفاء بالعهد والصّدق والشّجاعة ...، حتى يرفع من حماسهم و يهبوا لنجدة أهل الأندلس.

عندما تأخر العرب خاطبهم الخليفة الموحدي ليستعجلهم، و يذكّرهم بعزمه على الجهاد حيث نظم ابن العياش هذه القصيدة في حدود ثلاثة و عشرين بيتا و التي جاء فيها (طويل):

أقيموا إلى العلياء عُوج الرّواحل * و قُودوا إلى الهيجاء جُردَ الصّواهل**

و قوموا لنصر الدّين قومة ثائر * و شدّوا على الأعداء شدّة صائل**

(1) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، 327.

(2) المصدر نفسه، ص 328.

و أسروا بني قيس إلى نيل غاية * من المجد تجنى عند برد الأصائل**

بني العمّ من عليا هلال بن عامر * وما جمعت من باسل و ا بن باسل[1]**

ثم يقول :

هي الغزوة الغراء و الموعد الّذي * تنجز في أفق المدى المتطـــاول**

بها تفتح الدنيا بها تبلغ المنى * بها ينصف التحقيق من كل باطل**

فطيروا إليها يا هلال بني عامر * ثقالا و خفافا بين حاف و نـــاعل**

وتقطعكم صدر النّدى إذا نبت * بمن لم يكن منكم صدور المحـــافل[2]**

صاحب القصيدة يجدد الدّعوة لهلال بني عامر مستعملا الخطاب الحماسي الممزوج بين التذكير بأمجاد العرب و بواجب الدّفاع عن دار الإسلام لأنّه أمر من الله تعالى، كما نلاحظ اقتباس الشاعر من القرآن الكريم **(خفافا و ثقالا)** من قوله تعالى : "... **ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ**..." الآية 41 من سورة التّوبة .

و هو يريد بذلك أن يلزمهم الحجة فالكّل ملزم بالجهاد شابا كان أم شيخا والإسراع في تلبية نداء الجهاد لأنه ذروة سنام الإسلام.

خلاصة القول: يبدو أنّ ابن طفيل و ابن عياش استطاعا من خلال هاتين القصيدتين أن يبثا روح الجهاد في نفوس العرب بإفريقية، و ذلك باعتمادهما على جملة من المحفزات و العوامل المؤثرة في هذا النوع من القصائد كالعامل الدّيني، وعامل الإشادة بماضي القبيلة و إحياء أمجادها بالإضافة إلى توظيفه للعامل السلوكي و الأخلاقي كالوفاء بالعهد مثلا، و يذكّر ابن صاحب الصلاة أنّ العرب أجابوا دعوة الخليفة الموحدي بعد سماعهم لقصيدة ابن طفيل ثم لابن عياش.[3]

(1) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، 328.

(2) المصدر نفسه، ص 329.

(3) عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 330.

المبحث الثالث:

الخطاب الجهادي في النّص الشّعري (مدينة بلنسية أنموذجا)

أولا : حصار مدينة بلنسية (شعر الحصار و الاستصراخ) .

ثانيا : سقوط مدينة بلنسية (شعر السقوط و البكاء) .

ثالثا : الحنين إلى الماضي (شعر إحياء أمجاد الماضي)

البحث الثالث: الخطاب الجهادي في النص الشعري (مدينة بلنسية أنموذجا)

أولا : حصار مدينة بلنسية (شعر الحصار و الاستصراخ)

مدينة بلنسية[1] من المدن الأندلسية التي عانى أهلها من الحصار الطويل و تبعاته من خوف و ألم و قتل و تدمير و تضييق في الأقوات،و معاناة سكانها الجوع و الاضطهاد الديني والعقدي .

شكلت هذه الوضعية التي آلت إليها مدينة بلنسية بيئة خصبة تفاعل معها الأدباء و الشعراء، فخلدوا مأساتها ووصفوا ما تعرضت له من اضطهاد ديني و اجتماعي، فالشعراء والأدباء وجهوا الرسائل للحكام و المحكومين، لعلهم يجدون آذان صاغية، و تحتوي هذه الرسائل على خطاب جهادي يرجى منه تحريك النفوس و شحذ الهمم، بهدف إنقاذ الأندلس و حماية الوجود الإسلامي فيها.

مدينة بلنسية سبق و أن سقطت في أيدي النصارى سنة 488هـ، و استعادها المسلمون في سنة 495 هـ[2] من بعد، ثم تعرضت إلى الحصار ثم إلى السقوط خلال فترة الأخيرة من الحكم الموحدي في الأندلس، بعد أن دب الضعف فيها خاصة بعد واقعة حصن العقاب سنة 609هـ.

بعد حصارها كتب الشعراء رسائل و وجهوها إلى عدوة المغرب ، فابن الأبار يوجه خطابا إلى صاحب إفريقية أبي زكريا الحفصي[3]، يدعوه فيها إلى إنقاذ مدينة بلنسية خاصة والأندلس عامة من السقوط في يدي النصارى، و هذا الخطاب عبارة عن قصيدة شعرية تتكون من خمسة وسبعين بيتا (الكامل) و جاء فيها :

نادتــك أندلس فلبّ نداءها * و اجعل طواغيت الصليب فداءها**

(1) **بلنسية:** تقع في شرق الأندلس بينها و بين قرطبة على بجانة ستة عشر يوما، وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس، عامرة كثيرة التجارة، بينها و بين البحر ثلاثة أميال، و هي على نهر جار يصلح لملاحة السفن. ينظر، الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص97

(2) المصدر نفسه ، ص 97.

(3) **أبي زكريا الحفصي:** يحي بن المولى أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي الحفص، ولد بمراكش سنة 599هـ. وصل إلى الحكم سنة 623 هـ، و هو أول أمير بني حفص انفرد بالإمارة عن الموحدين ستة 634هـ (البيعة الثانية)، توفى 647 هـ ينظر : ابن الشّماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الأدلة البينة في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب، 1984، ص ص 54، 57 .

صرخت بدعوتك العليّة فاحبها * من عاطفاتك ما بقي حوباءها.**[1]

يبدو أنّ صاحب القصيدة يستصرخ صاحب إفريقية، و يدعوه إلى الإسراع لنجدة أهل الأندلس من الخطر الداهم والقادم من الممالك النصرانية قبل فوات الأوان.

ثم جاء في هذه القصيدة :

و اشْدُدْ بِجَلْبِكَ جُرْدَ خَيْلِكَ أَزْرَهَا[2] *** **تَرْدُدْ على أَعْقَابِها أَرْزَاءَهَا**[3]

هُبّوا لَها يَا مَعْشَر التوحيدِ قد * آن الهُبُوبُ و أَحْرِزُوا عَلْيَاءَهَا**

أَوْلُوا الجزيرةَ نُصْرَةً إنّ العِدَى * تَبْغِي على أَقْطارها اسْتِيلاَءَهَا**[4]

يبدو أنّ صاحب النّص يبيّن حق أهل الأندلس في طلب العون و المساعدة من إخوانهم في المغرب كلما لاح الخطر ديارهم من قبل الممالك النصرانية، بحكم التقارب التاريخي و الجغرافي و الدّيني للعُدوَتين المغربية و الأندلسية.

ثم يقول ابن الأبار:

وبِهَا عَبِيدُك لاَ بَقاء لهم سِوىً * سُبُلُ الضرَاعَةِ يَسْلكُونَ سَوَاءَهَا**

خَلَعَتْ قُلُوبُهمْ هُنَاكَ عزَاءَهَا * لمَا رَأَتْ أَبْصَارُهُم مَا سَاءَهـــا**

تِلكَ الجزيرةُ لًا بقاءَ لها إذا * لَمْ يَضْمَنِ الفَتْحُ القَرِيْبُ بقاءها**[5].

---

(1) ابن الأبار (أبو عبد الله محمد الضاعي البلنسي ت.658هـ)، ديوان ابن الأبار ، تح وتع: عبد السلام الهرّاس، الناشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغرب، 1420هـ/1999، ص 35.

(2) أزرها = أيّده و عاونه و وقف إلى جانبه، ابن المنظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج4، ص17، 18.

(3) أرزاءها =المصائب .المصدر نفسه، مج1، ص86.

(4) ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، المصدر السابق، ص 35 –37.

(5) المصدر نفسه، ص 35.

يأمل الشاعر أنّ أهل التوحيد هم من يحررون الأندلس، ويعيدون الهيبة للإسلام فيها، لأنّ الحمية الدينية و الإيمان هو من يحرك مشاعر المسلمين لاستعادة الأراضي المسلوبة، و هناك خطابا خص به صاحب إفريقية أبي زكرياء الحفصي يصوّر لـه حـالة النّاس المهددين بالطـرد أو الموت، و يخاطب الأمير بقلوب و أبصار أهل الأندلس.

و جاء في نفس القصيدة :

إِيــهْ بَلنسيةُ، و في ذِكْرَاكِ مَــا * يَمْرِي الشُّؤُونَ[1] دِمَـاءها لاَ مَاءَهـا**

أَرْسِل جَوارِحَـها تَجِئْكَ بِصيدهَا * صَيْدًا و نَـادَ لِطَحْنِـهَا أَرْحَـاءَهَـــا[2]**

صَرختْ بِدعوتكَ العَلِيـةَ فَاجْبُها * من عَاطِفَاتِك ما يَقِي حَوْبَـاءهـــا[3]**

الجِهَـادَ فـلا تَفُتـكُم سَاحَـــةً * سَاوَتْ بها أَحيَاؤُها شُهدَاءَهـــا[4]**

يبيّن الشاعر الصورة التي آلت إليها الأندلس من ضعف و استسلام و فقدانهم للقوة الحربية، ولا يملكون إلاّ الضراعة لله و التّوجه إلـيه، و هـذه الضراعــة سلبية لأنّهم لم يأخذوا بأسباب القوة لتحـقيق النصر و تخليص الأنـدلس من العدوان الصليبي هذا من جهة، و من جهة أخرى يحاول الشاعر من خـلال هـذا الخطاب أن يـدعو أهــل النّخــوة و الإيمان المسارعة إلى ساحة المعركة لتخليص بلنسية أو الفوز بالشّهادة .

و يواصل مناشدته للأمير الحفصي أبي زكرياء في قصيدة أخري (سينية)، يخاطبه فيها بالسرعة و التعجيل (أَدْرِكْ)، فسقوط مدينة بلنسية لم يقع بعد مازال هناك أمل في النّصر و إبعاد الأعداء عنها، إن عجّل صاحب إفريقية بإرسال المدد قبل فوات الأوان، وهناك قلق شديد للشاعر نلمسه من خلال تصويره لمعاناة سكان بلنسية، وهو يشير إلى خيل الله على أنها تهدف إلى إعلاء

(1) يمري الشؤون : أي يستخرج الدموع و يجريها و الشأن مجرى الدمع من العين.ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص36 .
(2) أرحاءها : أداة للطحن و هو يقصد نزول الموت بالأندلس. ابن المنظور، لسان العرب، المصدر السابق،مج14، ص312.
(3) حوباءها : النفس. المصدر نفسه، مج1، ص340.
(4) ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص ص36 ، 38.

كلمة التوحيد و إعادة هيبة الإسلام فيها، وهناك اقتباس من الحديث النبوي حيث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "... **الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة...**"[1].

هذه القصيدة السينية من البحر البسيط تتكون من سبعة و ستين بيتاً و بدأها ابن الأبار بقوله :

أدرك بخليك خيل الله أندلسا * إنّ السبيل إلى منجاتها درَسا**
وهب لها من عزيز النّصر ما التمست * فلم يزل منك عزُّ النصر مُلتَمسا**
و حاش مماّ تعانيه حُشاشتها[2] * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا**
يا للجزيرة أضحى أهلُها جَزرًا * للحادثات و أمسى جَدُّها تَعَسا**
و كلّ غارية[3] إجحاف نائبة [4] * تثني الأمان حذارًا و السّرور أسى[5]**

و يقول الشاعر أيضا في هذه القصيدة :

مدائن حلّها الإشراك مبتسما * جَذلان و ارتحل الإيمان مبتئسا**
يا للمساجد عادت للعدى بيعا * و للنّداء غدا أثناءها جرسا**
سُرعان ما عاث جيش الكُفْرِ وَاحَربا * عَيثُ الدَّبى[6] في مغانيها الَّتي كَبَسا**
و ابتز بَزَّتَها مماّ تحيَّفها * تحيَّفَ الأَسَدِ الضَّارِي لِمَا افْتَرَسا[7]**

الشاعر يصور لنا حالة الأندلس التي تثير الحسرة، حيث حلّ فيها الابتزاز والافتراس و انعكست سلبا على أهلها، و هناك مفارقة دينية عجيبة و مؤلمة في قوله: ابتسم الشّرك، ابتأس الإيمان مرتحلا، المساجد تحولت إلى كنائس...، لعل هذه الصورة الواقعية التي أصبح مسلمو الأندلس يعيشونها، لجأ إليها الشاعر لاستثارة حمية المسلمين، و نلمس في هذه الأبيات خطاب جهادي قوي ممثلا في استنفار المسلمين للدفاع عن دار الإسلام و مقدساته.

(1) البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ))، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم، دار السلام للنشر و التوزيع، الرياض، كتاب الوحي، باب الخيل، الحديث رقم 2849.

(2) حشاشتها أي : أغلى شيء ، روح القلب و رمق الحياة . ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج6،ص284.

(3) غارية : أعلى كل شيء . نفسه ، مج1، ص644.

(4) نائبة : المصيبة الشديدة نفسه، مج1، 774..

(5) ابن الأبار، الديوان ،المصدر السابق، ص 408

(6) عيث: الفساد و الخراب والإتلاف، الدّبى تعني الجراد الصغير قبل أن يطير.ابن منظور، المصدر السابق، مج2، ص170.

(7) المصدر نفسه ، ص 409.

ثم يواصل في هذه الرسالة مخاطبا الملك الحفصي بلسان بلنسية، و الذي يرجوه فيه أن يدركها ويخلّصها من الأعداء قبل فوات الأوان :

وصيَّرتها العَوَادِي العَابثَاتُ بهـــا * يَسْتَوحِشُ الطَّرفُ منها ضِعْفَ ما أنسا**

و حَالَ ما حَوْلَهَا من مَنْظَرٍ عَجَبٍ * يَسْتَجْلِسُ الـــرَّكْبُ أو يَسْتَركِبُ الجُلُسا**

هذي وسَائِلُهَا تَدْعُوكَ من كَثَـــبٍ * و أنَـتَ أَفْضَـلُ مـــــرْجُوٍّ لمن يئسا[1]**

ثم يعود في هذه القصيدة إلى الحوار المباشر للملك الحفصي:

يا أيّهـــا الملك المنصور أنت لهـا * عَليَـاءٌ تـــوسع أعداء الهدى تَعَسا**

طَهِّرْ بـــلادك منهـــم إنّهم نجـــسٌ * ولا طهـــارة ما لـــم تغســـل النَّجَسا**

و أوطئ الفَيْلَقَ الجـــرار أرضهـــم * حتـــى يُطَأْطِئَ رأسًـــا كلّ مـــن رأسا**

و انصر عبيدا بأقصى شَرْقِهَا شَرِقَتْ * عيونهم أَدْمُعًا تَهْمِي زكًا و خـــسًا[2]**

و اضرب لهـــا موعدا بالفتح ترقبه * لـــعلّ يوم الأعادي قد أتى و عسى[3]**

ابن الأبار يخاطب الملك مباشرة و يعرض له حالة بلنسية و ما تعانيه، و يستحثه بالمسارعة لإنقاذها قبل السقوط، و يطلب منه جهاد الأعداء بمهاجمة جيشه، و نصر أهل بلنسية التي صارت حالتهم تدمي القلوب، و يراه الإمام المخلص الذي يحرر الأندلس و يقضي على الأعداء.

(1) ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 410.

(2) زكاً و خساً أي زوجاً و فرداً.

(3) المصدر نفسه ، ص412.

ثانيا : سقوط مدينة بلنسية (شعر السقوط و البكاء)

سقطت بلنسية سنة 636 هـ[1]، رغم كلّ محاولات الاستغاثة و كان لهذا الحدث وقعا عظيما على شعراء هذه المدينة خاصة، حيث فقدوا الأمل في خلاص مدينتهم من الأعداء، و يقول أبن الأبار عن هذا الحدث:

أين الصبر و فـــؤادي و أنسيه * لو يبق لقومه على الرمي سيّه**

هيهات يحور ما مضى من أنسية * من بعد مصاب حلّ في بلسنيه** [2]

فالشاعر يخاطب نفسه و يحاول أن ينادي الصبر، فلا يجده لأنّ مصاب جلل و المأساة عظيمة، لم يستطيع استيعابها، و يقول أيضا: "... يا طول هذه الحسرة، ألا جابر لهذه الكسرة، أكل أوقاتنا ساعة العسرة، أخي أين الخوالي و لياليا على التوالي..."[3]

فابن الأبار في الشعر كما في النثر يكثر من صيغ الاستفهام، كأنه يبحث عن أي شيء يجعله سببا في هذه الهزيمة و في نفس الوقت يحمل هذا الخطاب بكاء و حسرة على ضياع بلنسية، و من جهة أخرى يدعو إلى تحرير هذه المدينة عن طريق الجهاد" **ألا جابر لهذه الكسرة** "

و يقول أيضا :

بعدًا لك يا يوم الثلاثا من صفَر * ما ذنبك عندي بشيْ يُغتفر**

قد أشمت بالإسلام حزب من كفر * من أين لنا المفرّ كلاّ لا مفرّ**[4].

نلاحظ استعمال الشاعر للمفردات التالية: **الذنب، المغفرة، حزب الله، الكفار، شمت الكفار بالمسلمين**... إلخ، هو يريد أن يبعث رسالة إلى المسلمين يشحذ هممهم، بعد أن صور لهم المأساة

(1) الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، المصدر السلبق، ص97.
(2) نفسه، ص 97.
(3) نفسه، ص 97.
(4) نفسه، ص 97.

التي تعرض لها مسلمي بلنسية، حتى يهبوا لنصرتهم ويعيدوا الاعتبار لمكانة الإسلام و المسلمين في الأندلس.

و هناك شاعر آخر يدعى أبو المطرّف بن عميرة [1]، و قد كتب لبلنسية قصيدة بصورة وجدانية مؤثرة مليئة بالإحساس بفجيعة السقوط، و تجمع بين التحسّر و الحنين لعله يؤثر في السامعين من المسلمين، فيحمسهم من أجل إعادة بلنسية إلى الدار الإسلام:

ما بَال دمعك لا يَني مِدْرَارُه * أم ما لقلبك لا يقرّ قــرارُه**

أللوعة بين الضلوع لظاعن * سارت ركائبه و شطت دارُه**

أم للشّباب تقاذفت أوطَانــهُ * بعد الدنوّ و أخفقت أوطــارُه**

أم للزمان أتى بِخطبٍ فادح * من مثل حادثةٍ خلتْ إعصارهُ[2]**

ثم يتحدث عن بلنسية وما حلّ بها و نلاحظ أنّ الشاعر يكثر من صور الحزن دلالة عن ألمه و أسفه الشّديدين، لعله يحرك وجدان الأمة الإسلامية لتدافع عما تبقى من الأندلس ثم تحاول استرجاع ما فقد مستقبلا :

بحرٌ من الأحزان عبَّ عبابُهُ * و ارتجَّ ما بين الحشا زخَّاره**

في كلّ قلب منه وجدٌ عنده * أسفٌ طويلٌ ليس تخبو ناره**

أمـــا بلنسية فمثــوى كافـر * حُفَتْ به في عُقْرِها كُفَّــارهُ[3]**

---

(1) **أبو المطرف:** هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي القاضي، فقيه وأديب وشاعر، عاش في فترة ما بين (658-582هـ)، سكن بلنسية، له مؤلفات منها: تاريخ ميورقة، الرسائل، تاريخ التنبيهات على ما في التبيان، وكتاب التعقيب على كتاب المعالم لفخر الرازي، وكتاب إقتضاب تاريخ الموريدين، والمواعظ . ينظر: أبو المطـرف (أحمد بن عمير المخزومي)، تاريخ ميورقة، تـح: محمد بــن معمـر، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1428هـ/2007م، ط1، ص03، وأيضا ينظر: ابن الأبار، المقتضب من كتـاب تحفة القادم، تح، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1410هـ/ 1989م، ط3، 197.

(2) الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السلبق، ص99.

(3) نفسه، ص99.

بلنسية بين الماضي و الحاضر يحاول الشاعر الرجوع إلى الماضي فيصور بلنسية بالجنة التي تجري تحتها الأنهار، والتي انقلبت إلى جحيم، و يرجع هذا إلى كثرة المعاصي و ضعف الهمم لعل كلماته تبعث الهمة و توقظ الأمة من سباتها لتدافع عن الأندلس :

ما كان ذاك المصـرُ إلا جـنـة * للحسن تجري تحتـه أنـهـارُه**
طابت بطيب نـهـاره آصالـــه * و تـعطرت بنسيمـه أسحـــارهُ**
و تألقت أوقاتـــه و تفيحـــت * أرجـاؤه و تفتحت أنـــــوارهُ**
قد كان يشرق بالهداية ليلُـه * فا الآن أظلم بالضلال نهـارهُ**
و دجا به ليلُ الخُطوب فصبحُه * أعيا على أبصارنا إبصـارهُ[1]**

ويذكر الحميري في الروض المعطار رسالة لأبي المطرف بن عميرة، خاطب بها أبا عبد الله بن الأبار في سقوط بلنسية، بدأها بوصف المأساة التي تعرض لها سكانها فيقول: «...فيا الله لأتراب درجوا وأصحاب عن الأوطان خرجوا...وإنما هو القتل والأسر أو تسيروا... في كل جانب عويل وزفرة...».[2]

ثم يقول أيضا: «... بلنسية ذات الحسن والبهجة و الرونق، وما لبث أن أخرص من مساجدها لسان الأذان، وأخرج من جسدها روح إيمانها.»[3]

وله رسالة أخر جاء فيها:«...وهو الحادث في بلنسية، دار النحر، وحاضرة البر و البحر ...، ودهاها الخطب الذي أنسى الخطوب، و أذاب القلوب...، يا طول هذه الحسرة، ألا جابر لهذه الكسرة...»[4].

ومما سبق يتبين لنا شعر السقوط والبكاء يتضمن خطابا جهاديا،من خلال ذكر المآسي التي نجمت عن سقوط بلنسية، لعلهم يحركون مشاعرهم الجهادية ضد النصارى.

(1) ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، المصدر السابق، ص 201، 202.
(2) الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السلبق، ص98.
(3) المصدر نفسه، ص98.
(4) المصدر نفسه، ص98.

ثالثا : شعر إحياء أمجاد الماضي

شعراء مدينة بلنسية بعد سقوطها يتجهون إلى خطاب وجداني مؤثر يحمل في طياته الحسرة و الحزن، و ما كان هذا الحنين إلى هذه المدينة إلاّ لتقليب الأوجاع، واستحضار الماضي الجميل لهذه المدينة، و يبدو في هذا الخطاب مقارنة بين الماضي الزّاهي و الواقع المفجع و المر، ويريد أصحاب هذا الاتجاه إحياء الذاكرة، و ربط هذه المدينة و الأندلس بالعالم الإسلامي، و يطالبون بإعادتها إلى حاضرة الإسلام، و هذا المطلب لا يسقط بالتقادم، و نلمس في هذا الشعر خطاب جهادي و ذلك بالتذكير بالمقدسات، و بأنّ هذه الأرض هي أرض الإسلام و استشعار بالمسؤولية على تضيع هذه المنطقة من العالم الإسلامي، لذا وجب على المسلمين استعادتها عن طريق إعلان الجهاد .

فأبو المطرف بن عميرة يعبر عن هذا الاتجاه بقوله:

ألا أيّها القلب المصرح بالوجد * أمالكَ من بادي الصبابة من بُدّ**
و هل من سُلُوٍّ يرتجى لمتيّم * له لوعة الصّادي و روعة ذي الصدّ**
يحنّ إلى نجد و هيهات حرّمت * صروف الليالي أن يعود إلى نجد**
ألا ليت شعري هل لها من مطالع * معاد إلى ما كان فيها من السعد.**[1]

يبدو من خلال هذه الأبيات أنّ الخطاب فيه الكثير من التساؤلات و التمنّي، و يتضمن الأمل و الرّجاء لعل المدينة ستعود يوما إلى دار الإسلام، و يرمز لبلنسية بنَجد و يحمل هذا الرمز قدسية و حنين لا يزول.

(1) المقري، النفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص305.

وفي نفس السياق يقول ابن الأبار:

إلى أوطانه حنّ العميدّ * فظلّ كأنّه غصنٌ يميد**

و مسقطَ رأسه ذكرَ اشتياقا * فذاب فؤادهُ و هو الحديدُ**

و لو رام السلوّ أبت عليه * معاهدُ عهدها الماضي حميدُ [1]**

يتوجه الشاعر بالخطاب إلى نفسه حيث يذكر مسقط رأسه و وطنه و يقدمهما قبل كل فعل، و في هذا الحنين ربط الوطن بالذاكرة و التعلق به و زرع الأمل في استعادته.

يحن الشعراء إلى هذه الربوع و يصورون ألم الفراق مدينة بلنسية مستحضرين صورة الأم وحرصها عل أطفالها و هم يهتفون إليها:

يا شوق أحداقي هفت لحدائقٍ * تفضي جداولها إلى غدرانها**

كالأمهاتِ أوتْ إلى أطفالها * فرمْت عليها الرّزق من قُمصَانِهَا[2]**

يحاول ابن الأبار أن يستحضر صورة مجالس العلم و العلماء، التي يذكر فيها القرآن و الذكر الفقه ...إلخ في بلنسية، بقوله:

أحنُّ لأربـاب المعارف بالـتُّرب * لأرجو بهم شفعَ الصّنيعة بالـربِّ**

تلقوّا جَنَى القرآن غضًا عن الذي * أتى خاتما للرُّسْل في خَاتمِ الكـتب**

أطـُوف بـناديهـم رجاء نَدَاهُم * كذَاكَ انْتِظَامُ الطّيرِ في منْثَرِ الحـبِّ**

هم القوم لا يشقى جَليسهم بِهِم * و حَسْبِي أن يغشى مجالسهم قلبي.[3]**

(1) ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 187.

(2) نفسه، ص427.

(3) نفسه، ص97.

يريد الشاعر أن يربط هذه المدينة بالحضارة الإسلامية، حيث ذكر حلقات العلم والذّكر و تلاوة القرآن التي كانت تعقد فيها، واستحضار هذه الصورة يهدف من ورائها الشاعر إلى تذكير الأمة الإسلامية بمكانة هذه المدينة، و يجب عليها أن تعمل على استعادتها.

و يستحضر في هذه الأبيات جمال طبيعة بلنيسة و يستأنس به و يتمنى عودة هذه المنطقة لدار الإسلام حتى يتمتع بهذا الجمال فيقول :

يَا سَقَى اللهُ لِلرِّصَافَةِ عهدا * كنسيم الصَّبَا يَرِقُّ وينـــدى**

و جِنَانًا فيها أهيـــمُ حنانـًا * بَيْدَ أني حرمت فيهن خُــلدَا**

مُستَهلا كأَدْمُعِي يَوم ودَّعـ * تُ ثَرَاهَا النَّفَاح مسْكًا و نَدَا[1]**

مما سبق نلمس أنّ هناك تعلق بالأرض، وعبر هؤلاء الشعراء ما يختلج في صدورهم، و كان في هذا الشعر مزيج بين الحماس والرثاء و البكاء والحنين لفقدان هذه المدينة، وهذا للتأثير في نفوس المسلمين لتحميسهم على الجهاد، و لاستعادة مدينة بلنسية،و الحفاظ على ما تبقى من الأندلس.

(1) ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص 186.

خاتمة

إنّ الخطاب الجهادي في الأندلس بأبعاده و انعكاساته احتل مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي و هو قد لازم الأندلس من الفتح إلى السقوط ، و ذلك بسبب التهديدات النصرانية الصليبية التي لم تتوقف طيلة هذه الفترة . و من خلال هذه الدراسة حاولنا الوقوف على أهم النتائج :

إن مصطلح الخطاب الجهادي له حضور قوي في النّص القرآني والسُّنَة النّبوية الشريفة، والّذي جاء بصيغة التّحريض على قتال الأعداء، لحماية الدولة الإسلامية، وأعتبر أفضل الأعمال. فالخطاب هو مقدمة الجهاد، الذي يحمل رفع الهمم والمعنويات، وتحفيز المسلمين أمام أعدائهم.

يجب أن تتوفر للخطيب جملة من الشروط، حتى يستطيع التأثير في السامعين منها: الإخلاص لله، الإلمام بفنون الخطابة، فصاحة اللسان، والجرأة على قول الحق، ليستنهض الهمم، ويدغدغ المشاعر، ويحث على الإقدام والثبات والتضحية.

إن تاريخ الأندلس حافل بالأحداث، مليء بالمعارك التي دارت رحاها بين المسلمين والنصارى ويعدّ الخطاب الجهادي المحرك الأول في هذا الصراع.

و تعود أسباب وجود الخطاب الجهادي في الأندلس وتطوره إلى جملة من العوامل منها:

* الأوضاع السياسية المتردية بعد سقوط الخلافة الأموية 422هـ، فتح الباب أمام الانقسام و الصراع حول تركة الأمويين، وشجع الممالك النصرانية على إعلان حروب الاسترداد، وهي كلها ظروف مهدت بروز الخطاب الجهادي لإصلاح الوضع وإنقاذ الأندلس من السقوط.

كان للعلماء الأندلسيين دورا كبيرا في التّصدي والوقوف أمام النّصارى المعتدين أيام ملوك الطوائف والموحدين، وهم كثرة، معظمهم احتل مكانة علمية مشهود له بها، كما أن كلمتهم كانت مسموعة ورأيهم نافذ، فحملوا لواء الجهاد بدعوة الناس إلى مناهضة العدو ومواجهته، فأصدروا الفتاوى، وخصصوا دروسا وخطبا في المساجد للتحريض على الجهاد، كما صنفوا مؤلفات حول الجهاد وما يتعلق به من أحكام.

واستغل العلماء سقوط بعض المدن الأندلسية بأيدي النصارى – مثل مدينة بربشتر– في شحذ الهمم وتحريك الناس للجهاد، وذلك بكتابة الرسائل والقصائد الشعرية التي تصف المآسي التي تعرض لها سكان هذه المدن، لاستنهاض الهمم وتقوية العزائم والتذكير بأمجاد الأمة وإبراز ماضيها الّذي ارتفع وسما بالجهاد في سبيل الله، والإشادة بالقادة الأوائل الذين فتحوا هذه الجزيرة فضلا على اعتبار الأندلس ثغر من الثغور الإسلامية.

كان للعلماء أثرا في استنجاد بأهل العدوة المغربية، ودورهم في دعوة المرابطين لإنقاذ الأندلس وتوحيده وخلع سلطة ملوك الطوائف ومحاربة الفرقة، للوقوف في وجه الأعداء، وعندما اشتدّ حصار النّصارى للمدن الأندلسية خلال القرن السابع الهجري ، فابن الأبار (ت658هـ) اتجه إلى حاكم إفريقية يستنجده لإنقاذ مدينة بلنسية، كما كتب آخرون مثل أبو المطرف بن عميرة.

الخطاب الجهادي بالأندلس عرف تطورا كبيرا في عصر ملوك الطوائف، وذلك بسبب تلك الدوافع التي حفزت العلماء والفقهاء والأدباء لتحريض الحكام والعامة على مواجهة تلك التّحديات والصّعوبات، وتخاذل بعضهم عن الجهاد، وانصرافهم لشهواتهم، والتحالف مع أعداء الدين بهدف حماية ملكهم...، كل هذه العوامل دفعت بالعلماء لتصدي لهذا الخطر، بتوجيه خطب تحريضية للجهاد، والتحذير من خطر النصارى و ضياع أرض الأندلس.

إن استخدام الخطبة استخداما موجّها، والتذكير بفضائل الجهاد، وما أعدّه الله تعالى للمجاهدين، يعدّ من وسائل التأثير والإقناع، وقد تمتزج الصبغة الدينية في الخطبة بالصبغة السياسية.

إن الخطاب الجهادي لم يوجه للجيش وحده، بل يتعدى إلى جميع المسلمين، لتثبيت الوجود الإسلام في الأندلس.

يجمع الدارسون والباحثون أن الشعر هو الفن الأدبي الأول الأكثر استعمالا في هذا العصر، فالشعراء وصفوا حال الناس في هذه الفترة العصيبة، وكان الحس الدّيني والبعد الإيماني والغيرة على انتهاك حرمات الدين وعقائد الناس بادية في قصائدهم.

لقد حمل الشّعر البعد الديني من خلال: الاقتباس، واستعمال آيات القرآن الكريم، وخطب الصحابة التي برزت معانيها في الدّعوة إلى الجهاد، سعيا منهم لاستنهاض الهمم والحث على مساعدة الأندلس، واستثارة ما تبقى من حس ديني في نفوس المسلمين، فالشّعراء نقلوا الواقع

بما يحمله من حزن وأسى وهتك للأعراض، وتدنيس للمقدسات، لبعث الحمية الدينية في نفوس المسلمين ودفعهم لنصرة إخوانهم بالأندلس.

لقد تحدث الشعراء بلسان بلنسية وأهلها واستحثوا الملوك والمسلمين على نصرتهم، وحاول الشعراء تصوير الوضع المزري ونقل معاناة الناس الدينية والاجتماعية وحالة الخراب والدمار الذي لحق بالمدينة، وتحول دور العبادة الإسلامية لكنائس، وهذا لإثارة مشاعر المسلمين، ليهبوا لنجدة هذه المدينة، فالخطاب الجهادي بادٍ وواضح في هذا الشعر باختلاف أبعاده (شعر السقوط، البكاء، الرثاء،...الخ).

وفي الأخير ننبّه بأنّ هذه الدراسة المتعلقة بالخطاب الجهادي في الأندلس خلال القرن الخامس و السابع الهجري، موضوعه واسع ومهما يكن من النقاط التي تطرقنا لها أو التي لم نتطرق لها يبقى الموضوع يحتاج إلى المزيد من التّصورات والآراء التي تثري هذا النّوع من البحوث التاريخية.

الملاحق

ملحق رقم 01

قصيدة ابن طفيل لحث عرب إفريقية على الجهاد في الأندلس

ارقين، ودفع الكافرين، وهي من قول ابن طفيل[1]: (طويل).

ا صدورَ الخَيْلِ نَحْوَ المَغارب
لغزو الأعادي واقتناء الرَّغائب
ي المَذاكي العادياتِ على العِدَى
فقد عرضَت للحرب جُرْدُ السَّلاهب
سى الآمالُ إلاَّ مِنَ القَنَا ولا تُكتَب العَلْيا بغَير الكتائب
غ الغاياتِ إلاَّ مصمِّمٌ على الهَوْلِ ركَّابٌ ظهورَ المصاعب
سمْرةَ الهَيْجاء أعذَبَ مَشْرَب
وان أعرضتْ زُرقًا جِمَام المَشارب
أفرسانَ قَيْسٍ مِنْ هِلال بْنِ عامر
وما جَمَعتْ من طَاعنٍ ومُضارب
لكُم قِبْةٌ لِلمَجْدِ، شدُّوا عِمَادَها بطاعةِ أمْرِ الله من كلِّ جانب
وقُوموا لنَصْرِ الدِّين قومةَ ثائرٍ وفيئُوا إلى التَّحقيق فيئةَ راغِب
دَعوناكُمْ نَبْغي خَلاصَ جَميعكم دُعاءً بَريئاً مِنْ جميع الشَّوائب
نُريدُ لَكُم ما نبتغي لنُفوسِنَا ونؤثِركُم زُلْفى بأعلى المَرَاتِب
[275] فلا تَزْهَدُوا في نَيْلِ حظِّكم الَّذي
لكُم فيهِ فوزٌ مِن جَميع المَعَاطب
بِكُم نُصِرَ الإسْلامُ بَدْأً، فنَصْرُهُ
عَلَيْكُم وهَذَا عَوْدُه جِدُّ واجِب
فقُومُوا بِما قَامَتْ أوَائِلُكُم بِهِ ولا تُخْمِلوا إحياءَ تِلْكَ المَنَاقِب!
وقَدْ جَعَلَ اللهُ النَّبيَّ وآلَه ومهديَّه مِنْكُم بِلاَ عيْبِ عائِبِ
وفزْتُم بتَخْصِيص الخَلِيفَةِ بَعْدَهُ ونسْبتِهِ الدُّنْيا بِزُلْفَى الأقَارِبِ
وطَائفةُ المَهْدِيِّ مِنْكُم، وإنَّهَا لتَحْنُو عَلَيْكُم باتِّصالِ المَنَاسِب
ومَن ذَا الَّذِي يَسْمُو لِيَبْلُغَ شَأوَكُم
إذَا كُنْتُم فَوْقَ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ
نَصَحْنَاكُم والنُّصْحُ في الدِّينِ وَاجِبٌ
بِمَا لَكُمُ فِيهِ صَلاَحُ العَوَاقِب
وخَاطَبْكم عنَّا بَيَانٌ مُحَصْحَصٌ[1] يشُقُّ سَنَاه داجياتِ الغَيَاهِب
هُوَ الأمْرُ أمْرُ اللهِ مُنْجِ ومُسْعِدٌ لِكُلِّ منيب ناصِحِ الجَيْبِ تائِب
وفيه دُغَافٌ للمُعَادَاةِ إذَا انْتَحَى تَمَكَّنَ مَا بَيْنَ اللَّهَى والتَّرائِبِ
وانتُمْ عَلَى التَّخْصِيصِ أجدرُ مَنْ بَنَى
بِذِرْوَتِهِ بَيْتاً رفيعَ الذَّوائب
فإنَّكُمُ قَيْسٌ، وفُرسانُ رَبِّنَا عَلى الأرْضِ من قَيْسٍ بغَيْرِ مُغَالِب

(1) قرأها غوميس مخصص، مجلة المعهد المصري ص 31.

1- صاحب الصلاة، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 325 -326.

خُذوا حَظَّكُم فالأمرُ جِدٌّ، وإنَّما يَكُونُ بقَدْرِ الجِدّ قَدْرُ المَناصِب
وقَدْ فَازَ بالتَّقْدِيمِ مِنْكُم مَعاشِرٌ
بِما قَدَّمُوهُ مِن حَمِيدِ المَذاهِب
تَحُثُّ بِهِم نَحْوَ البِدارِ إلى الهُدَى عِتاقٌ جِيَادٍ أو عِتاقُ نَجَائِب
فطارُوا إلى الدَّاعِي سِراعاً كأنَّهُمْ قِداحُ تَلَقَّى الفَوْزَ مِنْ رَمْيِ ضارب
فخصُّوا مِنَ التَّكرِيم والبِرّ بالَّذي يَكُون جَدِيراً بالوَلِيّ المُصاقِب
فنَالُوا مَحَلَّ السَّبْقِ فانفسَحت لَهُم رياضُ الأماني سائحاتِ المذانب
[276] وقَدْ شَاهَدُوا مِن حُرْمَةِ الأمْرِ ما قَضَى
لَهُم بأمانٍ من جَمِيعِ النَّوَائِب
فما لَكُم والنَّوْمَ عنْ خَيْرِ هِمَّةٍ تَقلّص أفْياءُ الثُّؤُونِ الجَواذِبِ
وتَعْطِفكم[1] بالمَشْرَفِيَّةِ والقَنَا مَنَادحُ عِزٍّ سَامِياتُ المَطالِب
وما هِيَ إلا دعوةٌ عزَّ ذِكْرُها فعزَّ بِها في اللهِ كُلُّ مُصاحِب
حَذارِ! فإعْراضُ الفَتَى عَنْ نَجاتِهِ وتَضْيِيعُه للحَزْمِ إحْدَى المعايب
وما الحَزْمُ إلا طاعَةُ اللهِ إنَّها هيَ الحَرَمُ المَنَّاعُ مِنْ كلِّ طالب
نَعُدُّكُمُ السَّيْفَ الَّذِي لَيْسَ يَنْثَنِي
إذا ما نَبا سَيْفٌ براحةِ ضارِبِ
ونَجْعَلُكُم صَدْرَ القَناةِ إذا غَدَتْ
تَأطَّرُ ما بَيْنَ الحَشَى والتَّرائب
وقَدْ كَانَ مِنْ أقْوالِكُم ما عَلِمْتُمُ
فإنْ كانَ فِعْلٌ فالرَّجَا غَيْرُ خَائِبِ!
ولَيْسَ خَطِيبُ الصِّدْقِ مَنْ قالَ فانْبَرَى
ولكنَّ فِعْلَ الحُرِّ أصْدقُ خَاطِب
وما خُلْقُ الأعْرابِ إخْلافُ مَوْعِدٍ
ولكنَّ صِدْقَ الوَعْدِ خُلْقُ الأعارِبِ

سَنَعْلَمُ مَنْ أوْفَى ومَنْ خَاسَ عَهْدَهُ
ومَن كانَ مِن آتٍ إلَيْنا وذاهِبِ
وتَظْهَر أحْوالٌ يَروقُ سَماعُها فيَرْغَبُ في أمْثالِها كلُّ راغِبِ

1- المصدر نفسه ، ص 327 - 328.

ملحق رقم 02

شرح ديوان ابن الحداد (قصيدة حماسية موجهة للمقتدر بن هود ملك سرقسطة) (الطويل)

١ ـ مَضَاؤكَ مَضْمُوْنٌ له النَّصْرُ وآلفَتْحُ وسَعْيُكَ مَقْرُوْنٌ به اليُمْنُ والنُّجْحُ
٢ ـ إذا كان سَعْيُ المرْءِ لله وَحْدَهُ تَدَانَتْ أقاصِي ما نَحَاهُ وما يَنْحُو
٣ ـ بكَ آقْتَدَحَ الإسلامُ زَنْدَ آنتصارِهِ وبِيْضُـكَ نارٌ شُبِّهَـا ذلـك القَـدْحُ
٤ ـ وجَلَّى ظلامَ الكُفْرِ مِنْكَ بِغُرَّةٍ هي الشَّمْسُ والهِنْدِيُّ يَقْدُمُها آلصُّبْحُ
٥ ـ فَهُمْ ذَهَلُوا عن شَرْعِهِمْ وحدودِهِ فقد عُطِّلَ الإنْجيلُ وآطُّرِحَ الفِصْحُ

---

١ ـ **اليُمْنُ** : البَرَكة . والنُّجْحُ : الظَّفَرُ بالشي . يقول : إنَّ ذهابك لمقاتلة الطاغية آبن رُدْمير سيكون ، دون شكّ ، مكلَّلاً بالنصر والبركة والنجاح .

٢ ـ **نَحَاهُ** : قصده . يقول : إذا كان جهاد المرء لنصرة دين الإسلام ـ وهذا ما تفعله أنتَ ـ بلغ مراده . وبمعنى آخر ، فإنَّ المقتدر آفتتح بعض حصون الطاغية وعاد إلى سرقسطة غانما .

٣ ـ **إقْتَدَحَ الزَّنْدَ** : قَدَحَهُ ، والزَّنْدُ هو العُوْدُ الأعلى الذي تُقْدَحُ به النارُ ، أي هو رأس عود الكبريت . ومعنى صدر البيت : بآنتصارك على الطاغية رَفَعْتَ رايةَ النصر في سماء الأندلس . والبِيْضُ : ج الأبيض وهو السَّيْف . ومعنى العجز : إنَّ سيفك ، وأنت تُلْحِمُهُ في جُنْد رُدْمير ملحمةً ، بَدَا وكأنه نارٌ مضطرمة بحيث آلتبستْ علينا الأمورُ فبْتنا لا نُميِّزُ بين النارَيْن . وفي قوله : « شُبِّهَا ذلك القَدْحُ » يخرج على قواعد اللغة العربية ، والصواب : « شُبِّهَا ذلك القَدْحَ » بالنصب ليس غير .

٤ ـ **الغُرَّة** هنا بمعنى الوجه ، وهنا يشبِّه غُرَّةَ الممدوح بالشمس . والهِنْدِيُّ : السَّيْفُ الذي عُمِلَ ببلاد الهند وأُحكِمَ عَمَلُه . لسان العرب (هند) . وهنا يشبِّه سيفَ المعتصم بالصُّبْح عند آنبلاجه . وهكذا فإنَّ المعتصم ، بإشراق وجهه ولمعان سيفه ، جَلَّى دياجي الحَيْف وجعل الكُفْرَ يُعْطي ذِمَّتَه .

٥ ـ **ذهلوا عن شَرْعهم** : أي غَفَلُوا عن شريعتهم ؛ يقال : ذَهَلَ عن الشيء إذا تركه على عَمْدٍ أو غَفَلَ عنه أو نَسِيَهُ لِشُغُل . لسان العرب (ذهل) . والفِصْحُ : فِطْرُ النَّصارى ، وهو عيد تذكار قيامة المسيح من الموت ، ويعرف بالعيد الكبير . لسان العرب ومحيط المحيط (فصح) . يقول : إنَّ آبن رُدْميرَ وجُنْدَه آطَّرَحُوا عيدَ الفِصْح ولم يُفْصِحُوا ، وشَغَلُوا أنفسهم بآنتهاك أراضي المسلمين ، فَغَفَلُوا بذلك عن شريعتهم السَّمْحاء وعَطَّلوا ما جاء به كتابهم المقدَّس . ولو لم يكن آبنُ الحداد شغوفاً بنويرة النصرانية لما ذكر الإنجيل والفِصْح في هذا البيت الشعري ، وهما من الشعائر والطقوس الدينية المسيحيّة .

1- ابن الحداد، **ديوان ابن الحداد الأندلسي**، المصدر السابق، ص178

قائمة البيبلوغرافيا

(المصادر و المراجع)

أولا: المصادر:

*القرأن الكريم(رواية ورش)

*الحديث النبوي الشريف:

1- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ))، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم، دار السلام للنشر و التوزيع، الرياض، كتاب الوحي، باب الخيل.

*التفاسير:

2- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ/2003م، ط32، مج1، ج3.

*مصادر التاريخ العام:

*ابن الأبار (أبو عبد الله محمد الضاعي البلنسي ت.658هـ):

3- الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م،ج1.

4- ديوان ابن الأبار، تح: عبد السلام الهرّاس، ب ف، الناشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغرب، 1420هـ/1999.

5-الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469- 483هـ)، المسماة بكتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر.

6- ابن بسام (أبي الحسن علي الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق4، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، مج1.

7- البيدق، أخبار المهدي ابن تومرت ، تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

8- ابن الحداد، ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه وشرحه د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ط1.

*ابن الخطيب لسان الدين:

9- كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح:ليفي بروفنسال، نشر تحت عنوان: تاريخ اسبانيا الإسلامية، ط1،مكتبة الثقافة الدينية، 1424هـ/2004م،

10- الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، تح: محمد عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1394هـ =1974م.

11- ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، تح: محمد رضوان الداية، ط10، دار الفكر، دمشق، 1988م.

12- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام محمد هارون، سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء في الكويت، 1415هـ/ 1994م ، ط2، مج7.

13- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الإبياري، غير مفهرس، دار المصري القاهرة، دار اللبناني بيروت، 1410هـ/1989م، ط2.

14- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971، د.ط.

15- المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت ، 1426هـ-2006م، ط1.

16- المراكشي ابن عذارى (أبو إسماعيل محمد بن محمد)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح: ج س كولان ـ ليفي بروفنسال ، دار الثقافة بيروت لبنان ، 1983 ، ط3

17- المقري(أحمد بن محمد المقري التلمساني)، النفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس ، غير مفهرس، دار صادر ، 1388هـ/1968م،ج1.

18- أبو المطرف (أحمد بن عمير المخزومي)، تاريخ ميورقة، تح: محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ/2007م، ط1.

19- ابن الشّماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الأدلة البينة في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984.

20- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب توفي سنة 733هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: الدكتور علي بوملحم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، 1424هـ=2004م، ط1، ج6.

21- ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي)، رسائل ابن حزم (384هـ-456هـ)، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1987م، ط2، ج3.

22- ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش، جامعة اليرموك، مكتبة المنار، 1409هـ-1989م، ط1.

23- ابن أبي زرع (أبي الحسن على بن عبد الله)، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وترجمة كارل يوحن تورنبرغ، دار الطبع مدينة أو بسالة، 1823.

24- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف ،دار المعارف، القاهرة،1993م، ط4، ج2.

25- ابن سماك العاملي، (أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: د.عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

26- ابن صاحب الصلاة عبد الملك ، المن بالإمامة تاريخ المغرب و الأندلس في عصر الموحدين، تح: عبد الهادي تازي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1987، ط3، ج2.

27- ابن فرحون المالكي (الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين توفي سنة 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ-1996م، ط1.

28- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ)، البداية والنهاية، دار المعارف بيروت، 1413هـ/1992م، مج8.

29- مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، طبع في مدينة مجريط (مدريد)، إسبانية، 1867م.

30- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1399هـ/1979م.

31- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس: تح: لويس مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983، ج.1

كتب علوم اللغة والمعاجم:

32- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1،1997م، مج2.

33- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح وضبط:عبد السلام محمد هارون، غير مفهرس، دار الفكر ، 1399هـ/1979م، ط1، مج1.

34- مجد الدين محمد بن يعقوب آيادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت،1407هـ، ط3.

35- للراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، 1412هـ= 1992م، ط1.

36- الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، تح إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ، ط1.

37- الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمارا)، سير أعلام النبلاء، ، رتبه حسان بن عبد المنان ، لبنان، 2004 ، ج1.

38- الزركلي(خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي)، الإعلام، دار العلم للملايين، 2002، ط 15.

39- الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب)، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، دار النشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، د.ط، د.ت.

40- ابن الأثير(محي الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد، د.ط، د.س، مج1.

41- : أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، غير مغهرس، الناشر مكتبة لبنان، 1987م.

42- ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم)، جامع الرسائل، تح: محمود رشاد سالم، دار المدني جدة، مج2.

السّير والتّراجم:

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد الضاعي البلنسي ت.658هـ):

43- التكملة لكتاب الصلة، تح:عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م،ج1.

44- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1410هـ/ 1989م، ط3.

45- محي الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آيادي، البلغة في تراجم أئمة النحو و اللغة، تصنيف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آيادي، تح: محمد المصري، ط منقحة و موسعة حسان أحمد راتب المصري، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع ، 1421هـ/2000م ، ط1.

46- المقري (أحمد بن محمد التلمساني)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا و أخرون، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ /1939م، ج1.

47- الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان توفي 748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ /1996م، ط11، ج18.

48- ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي)، جمهرة أنساب العرب، تح وتع: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر،1368هـ/1948م.

49- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ت 488هـ) ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي، تونس ، 1429هـ/2008م، ط1.

50- عبد القادر محمد بنو نصر الله القرشي أبو محمد محي الدين الحنفي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، دار المعارف النظامية حيدر آباد، باكستان، 1332هـ، مج2.

51- سيف الدين الآمدي، الأحكام في فصول الأحكام، مكتبة عاطف،القاهرة ،1978م، ط1، ج1.

52- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى) ، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، المكتبة المصرية ، بيروت ، 2003، ط1.

53- الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنأوط وتركي مصطفى، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م ط1، ج16.

54- الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (599هـ/1203م)، ج1، تح: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، 1410 هـ/1989م ، ط1.

55- ابن الفرضي (عبد الله بن محمد أبو الوليد)، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ/2008م، ط1، مج1.

56- النباهي المالقي الأندلسي (الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن)، تاريخ قضاة الأندلس، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، 1403هـ/1983م، ط5.

المصادر الجغرافية:

57- الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1422هـ/2002م، مج2.

58- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تح: إحسان عباس، طبعة،1975م، ط2، 1984م، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت.

59- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ج11.

60- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ=1977م، مج1.

المـــراجع:

*أبا الخيل (محمد بن أبراهيم بن صالح الحسين)

62- جهود العلماء في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين 483هـ/640هـ، دار أصداء المجتمع للنشر السعودية، 1419هـ /1998م، ط1.

63- الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (300-275هـ)= (912-888م)، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1416هـ/ 1995م، ط1.

64- -إبراهيم يضون، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92 هـ /422هـ = 711م /1031م) ، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1980.

65- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية،د.ط، د.ت.

66- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، 1985.

67- الحجي عبد الرحمان، التاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة (92هـ -897هـ/ 711م - 1492م)، دار القلم دمشق، 1418 هـ /1997م، ط5.

68- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954م، ج2.

69- الشيال جمال الدين، الطرطوشي أبو بكر العالم، سلسلة أعلام العرب، الزاهد الثائر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م، غ.م ، د.ت.

70- السامرائي أسامة عبد الحميد حسين، تاريخ الوزارة في الأندلس (897-138هـ/755-1492م)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

71- السامرائي خليل إبراهيم و أخرون، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، دار الكتاب بيروت، لبنان، 2000م، ط1.

72- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1437هـ/2016م، ط5.

*الصلابي علي محمد محمد:

73- الجوهر الثمين لدولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1424هـ-2003م، ط1.

74- صفحات من تاريخ الإسلامي(دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، عمان، 1998

75- أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي القاهرة،1417 هـ/1996م، ط2، ج1.

76- بوفلقة محمد سيف الإسلام، التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الأمان للطبعة والنشر والتوزيع الرباط.

77- بوقرة النعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، أربد-عمان، 2012م.

78- بن بيه محمد محمود عبد الله، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ودار ابن حزم، بيروت، 2000م، ط1.

*حسين مؤنس:

79- الثغر الأعلى الأندلس في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ/1992م

80- معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مراجعة: عادل أبو المعطي و محمد دياب، دار الرشاد العربية للطباعة و النشر، مصر، 1421هـ/2000م، ط5.

81- موسوعة تاريخ الأندلس "تاريخ وفكر وحضارة وتراث"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ط1، ج1.

82- رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانية النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، دار الكتب الإسلامية.

83- راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1432هـ-2011م، ط1،ج1.

84- أبو رميلة هشام، علاقات الموحدين بممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، جامعة النجاح نابلس، دار الفرقان، 1404هـ/1984م، ط1.

85- سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي، سلسلة كتب الأمة(100)، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، د.س، ط1.

86- حمد بن صالح السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم (عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا)،دراسة تاريخية تحليلية، مجلة البيان، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر السحيباني1423هـ- 2002م، ط1.

87- سوزي حمود، الأندلس في العصر الذهبي، دار النهضة العربية، بيروت، 1430هـ-2009م، ط1.

88- شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،د.س،د.ط، ص117.

89- شوقي أبو خليل، بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، 1980م، ط2.

90- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع الجزائر، 2009م.

91- عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق، إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة و النشر، 2005، ط6.

92- طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، الباب الثالث: دويلات الطوائف وملوك المغرب، مطابع المجموعة الدولية ، الكويت، 1426هـ/2005م، ط1.

93- عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الاستقامة، 1940/05/19م.

94- علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، دار الوفاء للنشر والتوزيع، د.س، د.ط، ج1.

*عنان محمد عبد الله:

95- دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول -القسم الأول من الفتح إلى بداية عهد الناصر، 1417هـ-1997م، مطبعة المدني، القاهرة، ط4.

96- الخلافة الأموية والدولة العامرية، العصر الأول-القسم الثاني، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1417هـ=1997م.

97- دولة الاسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417هـ/1997م، ط4.

98- دولة الاسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، قسم2، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/ 1990م،ط2.

99- ابن عبود أمحمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف، المعهد الجامعي للبحث العلمي تطوان، 1983م.

100- عودات أحمد، تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري، مكتبة الدراسات الاجتماعية، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1989م، ط1.

101- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي ، 2004، ط1.

102- عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري،، شركة سوزلر للنشر القاهرة، 1409هـ-1988م، 2002، ط2.

103- فراد محمد أرزقي ، القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف القرن الخامس هجري الموافق الحادي عشر ميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

104- فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983م.

105- مكي محمود ، تاريخ الأندلس السياسي (92هـ -897هـ/ 711م - 1492م)، دراسة شاملة بحث منشور في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تر: سلمى الخضرا الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ج1.

106- محمود شلبي، حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس، دار الجيل، بيروت، 1412هـ-1992م، ط1.

107- محمد العمروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط2.

108- الهاشمي عبد المنعم، الخلافة الأندلسية، دار ابن حزم، بيروت، 1428هـ /2007م، ط1.

109- دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة: كامل كيلاني، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، 1933م، ط1.

110- Levi- provençal: histoire de l'Espagne musulmane, tome 3, paris, 1953-

الموسوعات:

111- الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث و الدراسات الإسلامية (فدا) تقديم راغب السرجاني، مراجعة قاسم عبد الله إبراهيم ،محمد عبد الله صالح، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع القاهرة، مصر، 2007م، ط07، ج1.

رسائل والدراسات الجامعية:

112- بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)(422-300هـ/912م-1031م)، رسالة دكتورة دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة السانيا، وهران، 1423هـ/2002م.

113- صديقي عبد الجبار ، سقوط دولة الموحدين دراسة تحليلية في أسباب و تداعيات، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد 2014/2013، الفصل الثالث.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة

.....أ

تمهيد 08

الفصل الأول: الخطاب الجهادي في تاريخ الأندلس قبل عصر ملوك الطوائف

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب الجهادي

1- 1-المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب.....07

1- **2**- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للجهاد.....12

1- 3- المفهوم المركب للخطاب الجهادي لغويا واصطلاحا.....14

.

2- الأوضاع السياسية في الأندلس (من عصر الولاة إلى سقوط الخلافة الأموية):

2-1 - عصر الولاة (95هـ-137هـ)..... 17

2-2- عهد الإمارة (138هـ - 316 هـ).....18

2-3- عهد الخلافة الأموية بالأندلس (316هـ -422هـ).....20

3- واقع الخطاب في الأندلس من الفتح لسقوط الخلافة:

3-1- الخطاب الجهادي في مرحلة الفتح الإسلامي للأندلس.....22

3-2- الخطاب الجهادي في عصر ولاة الأندلس.....26

3-4- الخطاب الجهادي في عهد الإمارة و الخلافة الأموية بالأندلس.....29

3-5- الخطابة الجهادية في عهد الدولة العامرية. 33

الفصل الثاني: واقع الخطاب الجهادي في عصر ملوك الطوائف(422هـ – 503هـ)

تمهيد:.....36

1-دوافع وعوامل الخطاب الجهادي في عصر ملوك الطوائف:

1-1-ضعف الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه.....42

2-1-انعدام الوحدة السياسية بين مسلمي الأندلس.....43

3-1- ابتعاد الكثير من مسلمي الأندلس عن الجهاد في سبيل الله.....45

4-1- انتشار العصبية القبلية بين مسلمي الأندلس.....48

5-1- تدخل النصارى في شحن الصراع بين المسلمين.....49

2-الخطاب التحريضي في عصر ملوك الطوائف:

1-2-أثر وقوع مدينة بربشتر في الخطابات التحريضية للجهاد لفقهاء وعلماء الأندلس.....53

2-2-تحريض الفقهاء لحكام الطوائف على الجهاد بالأندلس. 57

3-2-نموج لخطب حكام الطوائف لتثبيت روح الجهاد لمسلمي الأندلس.....59

4-2-دور الأدباء والشعراء في استنهاض روح الجهاد لحكام الطوائف.....59

5-2-استنهاض علماء الأندلس همم المتخاذلين عن الجهاد من أمراء الطوائف.....60

3- حض واستنجاد حكام الطوائف بالمرابطين للجهاد في الأندلس:

1-3-رسالة المعتمد بن عباد ليوسف بن تاشفين للجهاد بالأندلس.....63

2-3-نماذج لخطب جهادية لحكام المغرب الإسلامي من خارج وداخل أرض الأندلس.....65

3-3-دور قضاة وفقهاء الأندلس في تحرض حكام المرابطين للجهاد بالأندلس.....66

الفصل الثالث: الفصل الثالث: الخطاب الجهادي في عصر الموحدين(541هـ- 668هـ)

1- الموحدون في الأندلس و دورهم في تعزيز الوجود الإسلامي (541هـ /668 هـ):

1-1- الحياة السياسية عقب سقوط دولة المرابطين و تأسيس دولة الموحدين.....71

1-2- دواعي و أسباب جواز الموحدين إلى الأندلس 74

1-3- إسهامات الموحدين في إنقاذ الأندلس.....75

1-4- تداعيات ضعف الموحدين على الأندلس 76

2- خطاب علماء الأندلس و أثره في الصراع مع الممالك النصرانية

2-1- جهود العلماء في الدفاع عن الأندلس من خلال التحريض على الجهاد 79

2-2- رسائل الأمراء للتحريض على الجهاد 86

3- الخطاب الجهادي في النّص الشّعري (مدينة بلنسية أنموذجا)

3-1- حصار مدينة بلنسية (شعر الحصار و الاستصراخ).....91

3-2- سقوط مدينة بلنسية (شعر السقوط و البكاء) 96

3-3- شعر إحياء أمجاد الماضي.....99

خاتمة.....103

الملاحق.....107

قائمة (المصادر والمراجع).....110

فهرس الموضوعات.....121